أدباء مكرمون

الباحث الدكتور

أحمد عمران الزاوي

أدباء مكرمون

الباحث الدكتور

أحمد عمران الزاوي

- مجموعة باحثين -

من منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق – ٢٠٠٤

كلمة عريف الحفل

الأستاذ يوسف معلا

الرفاق: أمين وأعضاء قيادة فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في طرطوس ــ السادة الحضور، أيها الأحبة جميعاً.

أهلاً بكم في هذا المهرجان الاحتفالي البهيج الذي يقيمه اتحاد الكتاب العرب تكريماً لأحد أبرز أركانه، وتقديراً لواحدٍ من أهم رجال الفكر على امتداد الساحة الثقافية العربية.

إننا ونحن في حرم الفكر ننحني بكل احترام وتقدير أمام قامةٍ فكريةٍ ضخمةٍ، لها ألقها الخاص، وهندامها الجميل وأمارتها المميزة. أمام إنسان عربي الهوى والهم والاهتمام أخذ وأعطى، تعلم وعلم، بما قام به من تحصيل، وما سعى إليه من معرفة، وما أحرز من ثقافة، وما أنتج من ثمر.

من أين به نبدأ؟ وهو بيننا ملء السمع والبصر والقلب نواكبه من قوس عدالة، حيث الغلبة عنده للحق والعدل، ثم يأخذنا ليرينا الشمس والمطر، ماراً بنا من فوق قوس قدرةٍ حيث ينتصب منارة على شرفة التاريخ، مدافعاً عن موطن الألوهة ومهد الأبجدية، مؤكداً أن هذه الكلمة القدسية المتوجة على التاريخ والجغرافية، التي اسمها في قاموس الإنسانية العروبة، هي الأم التي أنجبته، وهي الحبيبة التي كتبته ولونته بلون عينيها وزرعته في مفارق النجوم حروف أبجدية تموج غلالاً وسنابل، وتنهلُ خيوط ضياءٍ هي أسمى من أن تغزل إلا على نول الشموس، إنه العلاَّمة الدكتور أحمد

عمران.

أيها الأخوة: لن أستعير قلم السادة الأدباء والمفكرين الذين جاؤوا إلـــى هذا الفضاء المعرَّش بالمحبة والوفاء، المسكون بالفكر وأهله ومحبيه.

فها هو البستان يلوح بأزهاره وثماره، وهاهو البحر بـــدرره ولآلئـــه، فأيُّها نعرض تكون عنواناً لكنز ثمين اسمه أحمد عمران.

والسلام عليكم

■■■

قراءة في
كتاب مفتوح إلى المواطن العربي

كلمة : السيد العماد أول مصطفى طلاس

في كل مرة أتحدث فيها عن الصهيونية وما نجم عنها من أوجه النشاط الهدام للحياة والقيم، إنما انطلق من قناعة راسخة بأن كل الدراسات لم تصل بعد إلى رصد هذه الظاهرة الخطرة على حياة العالم في المستقبل لأنها ظاهرة غير واضحة الأهداف والمعالم. وكما قال روجيه كارودي في كتابه "قضية إسرائيل والصهيونية السياسية".

"إن دولة إسرائيل بحكم جوهرها (الصهيونية السياسية) ووجودها (تتابع غصبها للأرض وحروبها) في توسع مستديم تطمع بعد كل اعتداء بإلحاق مجال حيوي جديد.. ولذا استحال الاعتراف بقانونية حدودها المطاطة والحقيقة أن القادة الإسرائيليين من بيغن إلى شمعون بيريز لا يريدون مفاوضة أحد".

وانطلاقاً من هذا لا زلت أرى أن غاية البحث العلمي هو ا لكشف عن الوجوه الكثيرة للحقائق المدروسة عبر سيرها مع الزمن.. ولا زلت أرى أن القول الفصل في أية حقيقة مدروسة يبقى خاضعاً لظروف عصره والإشكالات التي تحيط به وتظهر من خلالها.. ومن خلال هذا الإيمان ما زلت أرى أن الصهيونية حركة تناولها الباحثون بالدرس والتمحيص لا بد أن يكون لها أكثر من وجه ولا بد أن تخرج الدراسات عنها بنتائج تذهب في اتجاهات متعددة ومناح كثيرة.

ولا يعني أبداً أن اختلاف التقييم بين هذه المدارس والاتجاهات يُشكّل تناقضاً يعطي ناقداً الحق في إلغاء الدراسات والنظر إليها نظرة عبثية بل إن هذا الخلاف يكون عامل إغناء إذا استطاع الباحث أن يدخله في منهج بنائي حي.. يحاول أن يتابع من خلال زمنية هذه الدراسات ــ تطور العقل الإنساني لها.

والصهيونية ظاهرة فكرية اجتماعية قد تجسدت في كيان هذه المرحلة من مراحلها.. وهي تحاول أن تجعل لنفسها مقومات الدول التي نشأت وفق سنن الحياة وقوانين الاجتماع، وقد اختلف الباحثون في دراستها.. وذهبوا في ذلك مذاهب متعددة.

ففريق رأى أنها مفرز إمبريالي سعت القوى العظمى منذ أواسط القرن الماضي أن تجعله جزءاً لهيكلة جديدة لما يسمونه "الرجل المريض" فاستدعى التخطيط إلى استخدام اليهود أداة لتحقيق هذا الهدف.. فأثيرت ضدهم نعرات كاللاسامية وغيرها.. ودفعوا من هنا وهناك تحت قيادة خلفتها القوى الإمبريالية لتحقيق ما تصبو إليه وكانت حوادث ألمانيا النازية هي الحلقة الأخيرة التي دفعت بالعدد اللازم من يهود أوربا لكي تجمع لهذا الكيان مادته البشرية الضرورية.. وإذا كانت مثل هذه النظرة تحاول أن تكون علمية في عرضها لهذا الجانب الموضوعي في الحركة.. فإن الملاحظ على أصحابها أنهم يهمشون الدور الذاتي لليهود وإرثهم.. ويجعلونه في مرتبة متدنية في نظريتهم التي تحاول تفسير وجود إسرائيل كما وجدت كياناً مصطنعاً منذ عام ١٩٤٨م.

وفريق رأى أن حلم اليهود الأكبر منذ شتتوا أول قرون الميلاد كان هو العودة إلى فلسطين.. وأن هذا الحلم داعيهم في كل الأوطان التي نزلوها.. وكان عزاءهم في كل المصائب التي نزلت على رؤوسهم والتي هي من جني أيديهم بسبب انغلاقهم على الذات وانعزالهم عن العالم إلى جانب أنانيتهم البغيضة وعنصريتهم الحاقدة وهذا العامل الذاتي خططوا له صاعدين مع حركة الزمن مستغلين كل المعطيات والظروف التي مروا بها أو مرّ العالم بها.. حتى تجسدت حركة العالم في سيادة أوربا على العالم.. فكانوا بذلك مشاركين لذلك عن طريق جمعياتهم ونواديهم ومحافلهم السرية.. ودفعوا بهذه الدول رغم كل الاختلافات التي بينها والحروب التي نتجت عنها على التوحد حول فكرة واحدة هي تهيئة الظروف الملائمة لقدومهم إلى فلسطين.. فكان نابليون بداية.. وكانت دعوات بعده، ثم كانت حركتهم المعلنة النشيطة بين ملوك أوربا والسلطان عبد الحميد والذي حاول أن يكون عثرة في طريقهم بالرغم من الظروف القاهرة

التي كان يمر بها.. واستطاعوا تهيئة الأجواء المناسبة قبيل قيام الحرب العالمية الأولى حتى تأتي نتائج الحرب ــ كان من كان الفائز ــ محققة لمصالحهم.. وعندما مالت الكفة إلى صالح الحلفاء.. سارع البريطانيون إلى إعطائهم صكاً دولياً هو "وعد بلفور" الذي نظم حركتهم وحركة القوى التي تساعدهم.. هذا الوعد الذي صدر كخاتمة ونتيجة طبيعية لسلسلة معقدة طويلة الأمد من الجهود الخارقة التي بذلها "هيرتزل" و بعده "وايزمن" إلى جانب المناخ المناسب في مواكبة الفكر الديني والفلسفي لحركتهم.. ولم يكن في المجتمع الدولي من خالفهم.. لكي ينتبهوا بعد ما يقرب من ثلاثة عقود إلى هذه المسرحية التي كانت ولادة دولتهم.. وما كان ذلك ليؤثر تأثيراً عملياً لو لم يكن الواقع الاجتماعي العربي الذي ارتكبت الجريمة على أرضه تعيساً يتآكله التخلف والفقر الحضاري.. فالشعب العربي كان غائباً عن مسرح الأحداث غيبة منقطعة لم يتخللها إلا بعض المواقف المحلية وموقف ملك العرب فيصل الذي لا يمكن أن يكون في يوم من الأيام أوسمة تاريخية مشرفة.

إن هذين الاتجاهين في البحث ــ وإن ظهرا متضادين ــ هما في البحث المتكامل في التاريخ وضمن منهج بنائي يحيط بالظاهرة من كل جوانبها يمكن أن يعرض علينا صورة هي أقرب ما تكون للواقع..

واستطراداً في إضاءة الموضوع يمكن القول: إن الغرب الأوربي والأميركي المؤيد للصهيونية يعاني من تخلف إنساني وانحطاط خلقي مريع في مساعدته الصهيونية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً منساقاً وراء الأضاليل التي استحكمت في النفوس.. وتجذرت في الصدور.. وإنّ الضجيج بمبادئ الديمقراطية والعدالة لم يكن بمثل حقيقة المقاصد بل كان أشراكاً ثبتتها في مفاصل الحكم عند كل دولة لتصطاد بها تلك الدول وبخاصة المتخلفة منها.. وظهر التناقض بين ما أعلنوا عنه وبين ما نفذوه وكما قال المفكر الفرنسي "سدني لو" ١٩١٢ "إن سلوك الغرب في الشرق الأوسط هو سلوك رجال العصابات وقطاع الطرق"..

وإذا كان كتاب "تشريح تاريخ الصهيونية" الموجه في كتاب مفتوح إلى المواطن العربي من المحامي "أحمد عمران" الذي يسعدني أن أقدمه للقراء كي يروا فيه بعض مظاهر نشاط الحركات الصهيونية واليهودية لتحقيق هدفها باستعمار فلسطين استعماراً استيطانياً.. وسعي الغرب إلى تحقيق مصالحه بكل الوسائل.. فإن هذا الكتاب بتشريحه كل الجوانب التي ساعدت وأسهمت في

تدعيم هذه الظاهرة وجعلها واقعاً ملموساً تحت المظلة الأميركية التي تحمي شراهة الصهيونية لامتلاك الأراضي واغتصابها بشتى الوسائل والسبل ولو أدى ذلك إلى إبادة الآخرين وتشريدهم.

ومع ذلك فإن ما شجعني على أن أقدم هذا الكتاب لقراء العربية هو تركيزه على الفعل التنفيذي الذي بذله اليهود الصهاينة في تنظيم كوادرهم من ماسونية وروتاري وشهود يهوه.. والبهائية وغيرها أو في جهدهم الذي بذلوه في سبيل تحقيق الغاية التي سعوا إليها والتي تثبت أن الفعل الجاد المنظم والمستمر هو أساس خلق الواقع سواء أكان حقاً أم باطلاً.

وإذا كنا الآن في مرحلة خاصية منفردة في علاقتنا مع إسرائيل فإن في تاريخنا العظيم.. وتاريخ غيرنا ما يثبت أننا في قطرنا العربي السوري وفي ظل القيادة الواعية لكل الأبعاد.. قيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد نسير على الدرب الصحيح.. فنحن نتمسك بالمبدأ لا نحيد عنه أبداً.. ونجد في تحقيقه ولا نقصر في ذلك ولا نألوا جهداً ولعل فيما طرحته سوريا الأسد من مواقف مبدئية في هذه المرحلة الدقيقة وما تبذله من جهد لتنفيذ ذلك يوصل الأمة العربية وقطرنا في المقدمة إلى أهدافها التي تحملها والتي تتعامل مع الحياة للوصول إليها لإظهار القيم الحقيقية دائماً.

دمشق خريف العام ١٩٩٧

■■■

كلمة
فرع اتحاد الكتاب العرب بطرطوس

غسان كامل ونوس

السيدات والسادة:

مديدة دروبنا، قصية غاياتنا، قريبة قرب اقتناعنا أن في المسير الجاد إليها قدراً مهماً من الوصول.

هذا المسير الذي يحتاج ثقة، ويستولد ثقة، يتطلب عدة، ويشحذها.. والهمة كنانة، والزاد توق ونباهة ومقدرة على التلقي والتخمير والتشكيل والتعبير. وقبل ذلك وبعده، إمكانية العطاء، والرغبة به.

أليس هذا هو المسير الفاعل؟! المسير المجدي؟! أليس هذا هو الحضور الثمين؟! الحضور الإنساني المرتجى في حياة لا تمثل سنواتها المعدودات شيئاً ذا قيمة على لوحة الزمن، إذا ما خلت من جدارة وفاعلية وذكر وصدى يطيب.

الصدى الذي يُحَسُّ، من كائنات تُحسُّ، وتقدّر، وتبوح.

ولعل في التكريم شيئاً من هذا الإحساس، وقدراً من الاعتراف لا تخفى طيوبه.

نرحب بكم أيها الكرام في هذه الندوة التكريمية التي يقيمها فرع اتحاد الكتاب العرب بطرطوس، لأحد أعضائه المجيدين الباحث الدكتور: أحمد عمران.

كتب الدكتور عمران في مجالات ثقافية متعددة: اجتماعية، وفكرية،

وتاريخية، وسياسية. وتناولت كتاباته موضوعات تمس الحيز الروحي في الإنسان، إضافة إلى الجانب الوطني والقومي، كما حاول استثارة الإمكانات الذاتية، من حيث التفكير والسلوك والمبادرة إلى اتخاذ المواقف المسؤولة تجاه القضايا المصيرية. وقدم فيما كتب أفكاراً عديدة، ودافع عنها، وحلل مواقف وأحداثاً، ورد على أفكار ومقولات، ومزاعم ودعاوى.. وكان بيناً في كتبه العديدة بصفحاتها الوفيرة، التمكّن من الصياغة، وسلاسة التعبير، وسعة الاطلاع، وغزارة الأفكار، والشرح والتعليل..

إن من خصائص البحث الجاد القدرة على الإقناع، دون تجاهل أن الفضاء يتسع لأصوات أخرى، ودون أن نغفل عن أن أياً منا ليس وحده من يمكن أن يمثل الحقيقة، حتى لو اعتقد أنه يمتلكها. قد تفيد الميول والعواطف الباحث في الاهتمام بالموضوع، والتوجه نحوه. لكنها لا تعينه في الحجة، ولا تقدم وحدها الدليل؛ هذا إذا لم يكن لها تأثير سلبي، يضاف إلى العناد والتصامم والمغالاة. وقد تختلف مع الباحث، أي باحث، في الرأي، أو التوجه أو الاعتقاد. لكنك لا تستطيع أن تنكر الجهد، أو تتغافل عن فضيلة المحاولة، واجتهاد الأجر الواحد. فكيف إذا ما اجتمع الأجران؟!

وفي نظرة عجلى إلى نتاج المكرم الدكتور أحمد عمران، سترى أن مجرد الاطلاع عليه يتطلب وقتاً مهماً، ناهيك عن الغوص فيه ودراسته وتحليله. وستقف على قيمة الزمن الذي تطلبته كتابته، ومن ثم إعداده وإصداره. وستدرك أن وراء هذه الآلاف من الصفحات عملاً دؤوباً، وهمة وإرادة. وستتخيل مدى ما بذل من عرق، وما استغرقه البحث والتنقيب في الكتب والمراجع والذاكرة للوصول إلى هذا الجنى.

إن التكريم مناسبة للتذكير بالمكرم، حتى لو لم يكن بحاجة إلى تذكير، وفرصة للحديث عن بعض خصاله ممن يعرفه عن قرب. والأهم من ذلك، الحديث عن إنجازاته عبر دراسات أعدت لهذه الغاية، قد تضيق عنها هذه الفسحة، ويتسع لها كتاب دأب على إصداره اتحاد الكتاب العرب، للمكرمين من أعضائه.

الإخوة والأخوات:

لقد غدا التكريم لدى اتحاد الكتاب العرب، وفي فرعنا بالذات، عادة نعد بتكريسها سنوياً. ونتمنى أن تعتادها جهات أخرى. لأن في محافظتنا الكثيرين ممن يعملون بإخلاص، ويقدمون الكثير، ويمتلكون أكثر. ويستحقون التكريم في

مواقع متعددة، وشرائح متنوعة.

فالتكريم تقدير للجهد الذي بذله ويبذله أي منا، واعتراف بالقيم التي يجب أن تثمن. ودافع لاكتناز المعارف وتحصين القدرات، وحافظ لتقديم الكثير ممن لديهم الإمكانية، وهم كثيرون. فالمحافظة تنتظر، والوطن يستحق، والأمة تحتاج أبناءها الخلّص في كل زمان، فكيف إذا ما كانت الهجمة شرسة إلى الحد الذي نشهد هذه الأيام، فيغدو الاستئصال من الجذور الغاية، والثقافة والمعرفة والإرث والمستقبل أهدافاً غير خافية. لكننا واثقون بالنفس والمبادئ والإرادة والإمكانيات، وسداد رؤى وخطا السيد الرئيس بشار الأسد.

العمر والصحة والسعادة والمزيد من العطاء المقدر للمكرم الدكتور أحمد عمران.

والتحية والشكر والاحترام لكم جميعاً أيها الإخوة الكرام.

■■■

من العدل تكريم صفوة الأمة

أحمد حاج فتوح

أيها الأخوة والأخوات: من العدل تكريم صفوة الأمة في الفكر والثقافة والإبداع في تأليف الكتب الجذابة في أسلوبها الممتع ومضمونها النافع في الجمع بين الأصالة والمعاصرة وكسب العلوم واتباع القيم الروحية والأخلاقية التي نجدها في الوصايا العشر الموجودة في جميع الكتب السماوية لأنها تجعل المتمسكين بها من المحسنين على جميع الأصعدة مع الله والناس والوطن والنفس بقوة الضمير الديني المبني على الإيمان بالله واليوم الآخر والمشحون بالمشاعر الربانية الدافعة إلى فعل الخير وترك الشر، بالحب والحياء والخوف من العقاب والرجاء بالثواب، لأن الضمير أقدر على ضبط الإنسان من قانون العقوبات ويشهد لهذا قول الشاعر:

لن يصلح القانون فينا رادعاً حتى نكون ذوي ضمائر تردعُ

ومما يثير في قلوبنا مشاعر الفرح والبهجة والسرور تكريم الأستاذ المحامي الدكتور أحمد عمران الزاوي الغيور على التماسك الاجتماعي بين الإخوة في الدين والوطن والقومية والإنسانية بنشر الثقافة الراشدة التي تصب في مجرى نهر التسامح واتساع الصدر للرأي والرأي الآخر والتبشير بمبدأ المواطنية العلمية القادرة على استقطاب جميع المواطنين لصنع المدينة الفاضلة بأعمدتها الخمسة: ــ الديمقراطية في الحكم ــ والعدالة في الرزق ــ والحرية في النقد البناء ــ والمساواة في تكافؤ الفرص لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب ــ وتعزيز سيادة القانون بإخضاع الجميع لعدالة القضاء ــ وتعزيز

الاستجابة الصحيحة بالمكافأة الفورية التي نشاهدها في هـذا الحفـل التكريمـي الذي يحرض المثقفين على خوض معركة الدراسة والكتابة. وسوف يجد القارئ الموضوعي في الكتب التي قام بتأليفها المثقف الموسوعي التي وصل تعـدادها إلى ستة عشر كتاباً وبشكل خاص الكتاب الذي هو قيد الطباعـة الآن وعنوانـه الالتقاء المسيحي الإسلامي بين الأنصار والخصوم وقد وقفت علـى مخطـوط الكتاب الرامي إلى التركيز على القواسم المشتركة بين المسيحية والإسلام التـي أخذها المؤلف من الإنجيل والقرآن وزاد عددها على عشرين نقطة مفصلية تشد المتدين إلى ضرورة الوحدة المبنية على المشاعر النبيلـة مـن أخـوة ومحبـة ورحمة متجسدة بالكلمة الطيبة واليد المحسنة العفو عند المقدرة والأخذ بشـعار: فليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وليؤيد بعضنا بعضاً فيمـا اتفقنـا عليـه. وصفوة القول "نحن دعاة ولسنا قضاة".

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل...

٢٠٠٣/١٠/١٩

■■■

قـراءة فـي

((كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء))

((بحث استقصائي في الفكر الصهيوني))

بقلم: الأديب يوسف مصطفى

يبقى الصراع العربي الصهيوني هو الموضوع المركزي والهام في قضايا العرب ومستقبلهم، والكتابة في هذا الموضوع، وفي مختلف جوانبه وإضاءة كل حيثيات هذا الصراع هو واجب وطني وقومي، لبناء ثقافة الصمود وتوسيع القاعدة المعرفية بطبيعة العدو وتاريخية فكره وعدوانه.

في إطار هذه الرؤية، يقدم لنا المؤلف الباحث الدكتور المحامي أحمد عمران الزاوي مؤلفه العاشر بعنوان (كتابات من الجحيم).

يبدأ الكتاب بالقول المشهور، للمتنور والمصلح الاجتماعي الكبير عبد الرحمن الكواكبي: "إنها صيحة في وادٍ لئن ذهبت اليوم مع الرّيح، فقد تذهب غداً بالأوتاد" والمعنى واضح الدلالة.

أهدي الكتاب إلى: ((حزب الله المقيم بين أجفان الشهادة، وإلى شيخ المجاهدين السيد حسن نصر الله، وإلى أطفال الحجارة وإلى محمد الدُّرَّة الذي مزّقه الرصاص وهو في صدر والده)).

المؤلف هنا: "يكتب عن عقيدة حركة وعن حركة عقيدة" نشأت على أساس عنصري معادٍ للبشر وللقيم الخيّرة في الحياة، تستمد نسغها من التلمود ومن الأساطير التوراتية التي اختلقها اليهود وأرادوها كتاباً مقدساً وعقيدة سياسية

ومصدراً للتفكير والتدبير.

واضح الجهد الاستثنائي الذي بذله المؤلف، في البحث والتخليص، ليقدم مادة إضافية عن موضوعٍ، يتداخل فيه الديني والسياسي والعقائدي والتاريخي.

أشار المؤلف إلى قول المفكر الفرنسي سارتر: "أنّ اليهود لا تربطهم مصالح أو معتقدات مشتركة، ولا ينتمون إلى وطن واحد، وليس لهم تاريخ مشترك".

أورد المؤلف تاريخية الالتزام الأمريكي بإسرائيل بدءاً من: "ترومان ١٩٤٨ الذي يقول: إنني أصبو إلى بناء دولة قوية ومزدهرة في فلسطين" يعني دولة اليهود، مروراً بقول كندي: "إننا ندعم أمن إسرائيل" إلخ الرئاسات الأمريكية.

يرى المؤلف: أنّ طغيان القوة والعربدة الأمريكية الصهيونية، لن يمنع المفكرين من تدوين الحقائق وإطلاقها بين الناس، وإقامة ثقافة الصمود. يقول المؤلف: "مهما كان الماضي مجيداً يجب أن يبقى مثلاً، وأن يكون الحاضر عملاً، ليتسنى للمستقبل أن يكون أملاً".

يشير إلى قول هرتزل ١٨٩٨ مخاطباً اليهود: "إنَّ الدولة اليهودية سوف تصبح واقعاً حياً بعد خمسين سنة" وهذا ما حصل بالفعل عام ١٩٤٨. واضح إصرار هرتزل ومن بعده حاييم وإيزمان على فلسطين ورفض الأفكار البديلة، يقع الكتاب في ستمئة صفحة ويتضمن أحد عشر باباً.

يتحدث الباب الأول: عن المبالغة والتزوير في التوراة، تعريفُ التوراة، أسفارُها، لُغتها الأصلية، التزويرُ التوراتي، الترجمةُ، ومصادرُ الأساطير التوراتية.

يقول المؤلف: التوراة كلمة آرامية معناها (الهدى والإرشاد) وقد بدأت الكتابة بها بعد عودة اليهود من السبي البابلي الثاني، وأنَّ عدد أسفار التوراة مختلف عليه، وكذلك ترتيبها، وأنَّ الترتيب غير مبني على تراتب زمني، "فالمزامير" نظمها شعراء متعددون في عصور مختلفة، ونسبت إلى شخص واحد هو داود، وسفر "إشعيا" ينتمي في الزمن إلى عصرين يفصل بينهما مائة عام.

في سفر التثنية من الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى في الإصحاح /٣٤/ ورد حديث مطول عن موت موسى، ومدفنه، وأيام الحداد، وهنا لا يعقل لشخصٍ أن يكتب عن نفسه كيف مات وكيف دُفِنْ؟... وهكذا يُظهر المؤلف

التناقضات الكبيرة والغلط والضعف في ترتيب الأسفار وسياقها وتناقضها وبأمثلة عديدة تتجاوز الخمسين مثلاً.

إنَّ التوراة لم تكتمل إلاّ في القرن الثالث الميلادي، أي أنَّ الكتابة التوراتية، استمرت حوالي سبعة قرون. ويعتقد معظم العلماء أنَّ الأسفار الخمسة الأولى من التوراة المنسوبة لموسى قد ألّفها الكتبة البابليون أثناء النفي، ومن الثابت عند جميع علماء التاريخ أنَّ آرميا وحزقيال كتب كلٌ منهما نبوءته بيده وهذا لا خلاف عليه.

يقول الدكتور أحمد سوسة: إنَّ التوراة الحالية بُدء بكتابة بعضها في القرن السادس قبل الميلاد أي بعد موسى بثمانية قرون، وبعد إبراهيم بثلاثة عشر قرن، وأنَّ لغة كتابتها هي اللهجة الآرامية السائدة آنذاك. أمّا تسمية اليهود، فقد أطلقت على بني إسرائيل بعد موسى ونزول الأسفار الأولى، عندما ابتدأوا بالتحريف والكذب، وتحريم ما أحلّ الله من الطيبات، ومناسبة التسمية هو عبادتهم للعجل فأعدم منهم موسى ثلاثة آلاف، فقال الباقون: ﴿إنَّا هدنا إليك قال: عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء﴾ سورة الأعراف الآية: ١٥٦ ومعنى هدنا .. عدنا وثبتنا.

هكذا وبهذا التدقيق والاستقصائية يتابع المؤلف التوراة وأسفارها.

برهنت جميع التنقيبات الأثرية، على عدم وجود، أي ارتباط تاريخي، بين هذه الأحداث التوراتية وبين ما أفصحت عنه التنقيبات الأثرية، وهذا ما أكده جميع علماء الآثار، وقصة الخلق الآدمية الواردة في الفقرة الثانية من الإصحاح الخامس، هي واردة في كل الأدبيات والميثولوجيات الشرقية، كذلك قصة الحية والمرأة الخطيئة... في الفصل الثالث من الباب الأول يرى المؤلف أن اللغة التي كتبت بها التوراة ارتبطت بأدوار تاريخية خمسة:

الدور الأول: دور إسرائيل وأولاده في مصر حيث لم يكن للتوراة أي وجود، وكانت اللغة السائدة هي اللغة الآرامية فالأسفار الأولى من التوراة في حال وجودها كتبت بالآرامية.

الدور الثاني: يمتد من دخول يعقوب مصر حتى خروج موسى منها، وكانت لغتهم هي الهيروغليفية، لأنها السائدة في مصر وهي لغة موسى.

الدور الثالث: يبدأ بنهاية فترة التيه التي استمرت (٤٠ سنة) ولم يكن قد

حصل اختلاط مع الكنعان سكان فلسطين وبالتالي فاللغة مصرية.

الدور الرابع: دور الملوك: عهد سليمان وداود حتى السبي البابلي، مفترض أن تكون لغة شفة كنعان.

الدور الخامس: هو دور ما بعد السبي البابلي الثاني.

فالعربية هي اللغة القديمة التي اشتقت منها اللغات، والأبجدية الكنعانية هي أقدم الأبجديات والخط الكنعاني هو من صنع الكنعانيين واختراعهم، ولغة إبراهيم الخليل ولغة يعقوب هي الآرامية في القرن التاسع عشر والسابع عشر قبل الميلاد واللغة العبرية ظهرت بعد موسى بعدة قرون، ومخاطبة الله لموسى مفترض أن تكون باللغة التي يتقنها ولم يكن يتقن سوى الهيروغليفية.

استشهد المؤلف بأقوال "وول ديورانت" ما خلاصته: أن أسفار التوراة لم تكتب في فترة واحدة.

في الفصل الرابع: يفصّل المؤلف في موضوع التزوير التوراتي وتعارض الوقائع مع المنطق وإلى التحريف وتعدد التوراة، أغني هذا الفصل بشواهد من القرآن الكريم في مسائل التزوير التوراتي قوله تعالى: ﴿يحرفون الكلم من مواضعه﴾ المائدة آية ١٣، ﴿ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ البقرة آية ٧٥، ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ آل عمران ٧٨.

يناقش المؤلف بجدلية فقهية بحيثة مسائل التزوير والتناقض في التوراة، كما يناقش الأساطير والعادات. أشار إلى تحريفهم شريعة حمورابي، وأقام مقارنة (جدولية)[1] بعناصر التحريف.

فصّل المؤلف في الباب الثاني: الطبيعة اليهودية في التلمود، وبروتوكولات حكماء صهيون من عنصرية وتطرف، والأطماع اليهودية في استعباد العالم.. تحدّث عن الماسونية ومثالبها ودورها باعتبارها أحد وسائل الصهيونية العالمية وأدواتها، .. أشار إلى التكتلات الصهيونية الأخرى: شهود يهوه ــ نوادي الروتاري ــ نوادي الليونز ــ أحباء صهيون.. إلخ.

في الباب الثالث: يتحدث عن الحركة الصهيونية نشأتها وتحولاتها السياسية، والمرتكزات النظرية والعملية للحركة، وارتباطها بالنهوض الاستعماري، وتحالفها مع المصالح الاستعمارية البريطانية والأمريكية وسواها.

---

[1] *جدولية: جدولين متقابلين لكل من شريعة حمورابي والنقل والتزوير المقابل لها يهودياً.*

في الباب الرابع: الدعاية الصهيونية، .. موضوع السامية وادعاء اختصاص اليهود بها، وتفنيد ذلك بتمحيصٍ وتدقيقٍ تاريخي، وإثبات كذب هذه المقولة.

في الباب الخامس: يفصّل المؤلف في موضوع القدس، وتاريخ المدينة ومراحلها والأقوام التي مرّت بها، ويؤكد بالدليل نفي وجود أي أثر لليهود بها وإلا لما قصروا في عرضه وإعلامه. ويناقش بدقة ومنطقية عرض مقولة (شعب الله المختار) وتفنيد هذه المزاعم ونصوص التزوير الصهيوني بها، وذلك في الباب السادس من الكتاب.

الباب السابع: يتعرض للتطرف الديني والقانوني، وفيه موقف اليهود من المسيحية والإسلام، وكيدهم لكلا الديانتين، وقوانينهم ضد غير اليهود.

في الباب الثامن: يجري الحديث عن الإرهاب كأحد أدوات قيام الكيان الصهيوني وتاريخ هذا الإرهاب ودمويته، وعلاقته بالعقيدة والدين اليهوديين، وبناء غطاء ديني لهذا الإرهاب.

الباب التاسع: يشير إلى الديموقراطية في إسرائيل، ويشرح ديموقراطية إسرائيل وتناقضها مع العنصرية وأن الفكر الإسرائيلي والعقائد الإسرائيلية والسلوك الصهيوني العالمي،.. لا يمكن أن يكون لا في الأساس النظري ولا القانوني ولا في الممارسة ديموقراطي، وأن الديموقراطية والتعددية وسواها، هي غطاءٌ دعائي لحقيقة الممارسة الصهيونية، ونوع من التضليل العالمي لعنصرية إسرائيل.

الباب العاشر: وفيه أساس التفوق الإسرائيلي المتضمن الدعم الغربي الإنكليزي النازي الفرنسي الأمريكي وغيره بغية تفعيل كل هذه الأدوار للمؤسسة الصهيونية.

الباب الحادي عشر: تضمن مقارنة بين الغزو /الأنكلوسكسوني/ لأمريكا وغزو الصهاينة لفلسطين وما تعرض له السكان الأصليون (الهنود الحمر وعرب فلسطين). يختم الكتاب بعدد من الخرائط حول تقسيم أرض الميعاد ــ الطريق التي سلكها موسى ــ طريق إبراهيم الخليل ــ مخطط القدس.. في التقويم العام لهذا الكتاب أقول:

ــ كتابات من الجحيم هي: /عن الجحيم الواسع والحرائق والدمار/ الذي يملأ العقائد اليهودية.. وما فعلت وتفعل في البشرية في فلسطين وسواها.

ــ خُصص ثُلُثُ الكتاب /للتوراة والتلمود/ والتدقيق فيما تضمناه من أحكامٍ

وأحداث وتاريخ.. وعرض ذلك على منهجٍ دقيق ليتم تبين الديني من الأسطوري، والتاريخي المزيف والتاريخي المحرف، وتسليط الضوء على العنصرية الكامنة في اليهودية الصهيونية.

- تناولت الأقسام الأخرى من الكتاب الحركة الصهيونية منذ ولادتها في حضن الاستعمار الغربي /البريطاني/ تحديداً.. إلى آخر ممارسات الصهيونية العالمية وتجلياتها في المؤسسات والمرافق الثقافية والاقتصادية والإعلامية الغربية الأمريكية خصوصاً.
- المؤلف متفائلٌ في مستقبل الأمة العربية فهو يرى أنها تملك /الحق الساطع والشعب الواسع/ ولا بد أن تملك القوة التي توفر لها النصر وتحرير فلسطين.
- يميط المؤلف اللثام عن الشخصية الإسرائيلية، وعقلها المبرمج بنصوصٍ دينية تسكن المخزون العقائدي وتحكم سلوك الأفراد.
- أراد المؤلف أن يقول في الكتاب: /اعرف عدوك/ وفي الكتاب وثيقةٌ كاملة الحجة في فساد العقائد اليهودية، وتداعياتها الصهيونية.
- يربط المؤلف بين انحرافات صهاينة اليوم، وجذور ذلك في التاريخ القديم.. وهذه القضايا تحتاج آلاف الصفحات.. استطاع المؤلف أن يوصلها لنا بأسلوب واضح، سهل الفهم، وبأقل ما يمكن من الصفحات.
- كتابات من الجحيم هو المؤلف العاشر من مؤلفات الدكتور أحمد عمران.. والتي تجاوزت /ستة عشر مؤلفاً/ وهو الثالث في كتاباته حول القضية العربية، والصراع العربي الصهيوني بعد كتابيه: كلا لم يخرج العرب من التاريخ ــ وكتاب مفتوح إلى المواطن العربي.
- كتابات من الجحيم يفيد كل الدارسين والمتابعين، وطلبة الجامعات والمؤسسات الثقافية للتعريف بمواضيع تاريخ العقائد اليهودية الصهيونية وطبيعتها واختلاطاتها وتزويرها.. إنه ثقافة ضرورية في معركتنا مع التحدي الصهيوني الاستيطاني في المنطقة العربية.. وهو أيضاً مرجع كبير، وإضافة نوعية للمكتبة العربية.. بأسلوب سلس وبعبارة واضحة.
- أما الخصائص العامة للكتابات الفكرية والبحثية للدكتور أحمد عمران فأقول:
- لا يبغي الدكتور أحمد عمران مغنماً أو جاهاً من مؤلفاته.. وإنما يرى من موقعهِ المعرفي ضَرورةَ المساهمةِ في إيصالِ الحقيقةِ ومعالجةِ حالةِ /تزييف

الوعي/ في عالمَنا العربي والإسلامي، وهو يُموِّل طباعة كتاباتِهِ، ويوزعُ الكثيرَ منها مجاناً.

- تتسمُ كتاباتُ الدكتور أحمد عمران بالجرأةِ في قولِ ما يجبُ قولَهُ.. والجرأةُ في الردِّ على قضايا /الزيفِ المعرفيِّ والفكريِّ/ في الكثير من الكتابات، والتي يتقي البعض ويتحاشون الخوضَ فيها.. وجرأتهُ /معرفيةٌ أدبيةٌ بحثيةٌ/ وهي إقناعيةٌ ومسؤولةٌ ومعالجةٌ.. وليستْ خطاباً سياسياً أو حماسٍ إنفعالي إنشائي خصوصاً كتاباتهُ في قضايا التراثِ والقضايا الخلافيةِ في سياقِ العقائدِ وإشكالاتها.
- تتصفُ كتاباته بأنها تنتمي.. /لفئةِ التأليفِ الهادئِ الرصينِ الموثَّقِ بالحجةِ القويةِ/، وهو المتمكنُ في قواعد اللغة وفقهها ودلالاتها خارج التأليف المنفعل بنوعٍ من الخطابةِ والحماسِ في هذه القضايا.
- كتابات الدكتور أحمد عمران: في جانبِ المعالجةِ والردِّ فيها يعتمدُ أسلوب /الدفاع القانوني/ منطقياً من /ادعاءاتِ الجهةِ المدعيةِ/ وهو يدافعُ بالحجةِ تلو الحجةِ، ويترك الحُكم /لمحكمةِ القارئ في الحُكمِ على القضيةِ المُعالَجةِ/ ففي ردوده على الدكتور شحرور مثلاً: اعتمدَ أسلوبَ اللغةِ وتصويبِ دلالاتها الفقهيةِ، وإعادتِها إلى مصادرها اللغويةِ وكشفِ كلِّ الألاعيب اللغويةِ فيها.
- الملفتُ والنادرُ في كتابةِ الدكتور أحمد عمران هي: أنَّهُ (لا يسوِّدُ) في كتاباته ويكتبُ المبيضةَ مباشرةً دونَ الحاجةِ للإعادةِ والتبييض.. وهذهِ مسألةٌ كبيرة تدلُ على طاقةٍ تأليفيةٍ ودقةٍ وثقةٍ فيما يكتبُ وقد لمستُ ذلك وشاهدتُهُ ساعاتٍ وتأكدتُ منهُ.

أخيراً أقول: المحامي الدكتور أحمد عمران.. ثروةٌ معرفيةٌ كبيرةٌ، وطاقةُ علمٍ وبحثٍ وتقصٍّ وقدرةٍ على التحليلِ والتركيبِ والتفصيلِ والعرضِ في: قضايا التراثِ، والفكرِ، واللغةِ، والأدبِ، والعقائدِ،.. فهو المفكرُ والكاتبُ والباحثُ والمؤلفُ.. وما قدمهُ من مؤلفاتٍ كثيرةٍ هي ثروةٌ معرفيةٌ، ومراجعُ كبيرةٌ في مسائلها سيعودُ إليها القُراءُ، والمهتمونَ، والباحثونَ.. أنا سعيدٌ جداً أنْ تُنجبَ هذهِ المحافظةُ وهذا الوطنُ أمثالَ الباحثِ والعلَمَ الكبيرِ الدكتور أحمد عمران الزاوي الذي يسكنُ الذاكرةَ الثقافيةَ لكلِ قارئٍ ومتابع.. أمدَّ الله بعمرهِ ورزقه السنينَ الطوال.

الدريكيش في

٢٠٠٣/١٠/١٥

■■■

قراءة في كتاب
(نضال المرأة في مواجهة التحدي)

لينا حمدان

عنوان يثير في النفس رغبة ملحّة في أن نقلّب صفحات الكتاب، وقديماً قيل المكتوب يفهم من عنوانه. وموضوع المرأة في المجتمع يحتمل الكثير من الحوار والبحث لأنه كما يبدو كان وما زال همّاً معلقاً.. وجرساً ينتظر من يقرعه.

وهاهو الأديب العلامة. الدكتور أحمد عمران الزاوي يمدّ يده بقوة وعزيمة ليقرع جرس المواجهة ويبث روح الحوار والبحث داعياً كلّ مهتم أن يرتقي معه إلى أفق التأمل الواعي لعلّه يخطو ولو بضع خطوات في طريق بناء جديد ونظرة متطورة حضارية تستوعب تقلبات العصر ومستجداته وما يستدعيه ذلك من حركة تحررية تنبع من إرادة الإنسان وتقصد إرادة الإنسان.

والمرأة في المجتمع هي الإنسان قبل أن تكون الأنثى وإن كانت طبيعتها الأنثوية قد فرضت عليها نمطاً معيناً وأسلوباً حياتياً مميزاً فإن ذلك يضيف لها وساماً آخر يضاف إلى إنسانيتها ويرقى بها إلى مراتب أعلى.. وليس العكس.

من هنا نتجرأ.. ونقلّب صفحات كتاب الأديب أحمد عمران ــ بمحاولة متواضعة جداً نتصفّح ما جاء عبر سطوره ولو بعجالة من الوقت.... إنما .. قد نشعل شمعة في عتمة هذا الدرب الطويل. "تنويه: لا بد من الإيجاز الشديد

لضيق الوقت".

ـ نضال المرأة في مواجهة التحدي:

قديماً وعبر قرون وحتى مطلع القرن التاسع عشر كانت قناعة الناس الأولى: "

"أفضل للمرأة أن تكون جميلة على أن تكون عاقلة".

وبمحاولة سريعة لاستعراض ظروف المرأة وموقعها منذ البدء حتى القرون الوسطى.. نجدنا ننصت لآدم يقول: "ها قد كملت ثلاثية السعادة: القوة والحكمة والمرأة".

وقد قال الرب للمرأة: "تكثيراً أكثرُ أتعابكِ حَبَلُك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وتكون له عليك السيادة".

فما تأثير قصة الخليقة التوراتية على المرأة:

لقد حض التلمود على احترام النساء لكن ذلك لم يمنع الرجل من أن ينفرّد بكل الشؤون بل وقد ألصقت فكرة الشرّ بالمرأة. فالشيطان لعبة الجنس النسائي.

طبعاً باستثناء بعض العبقريات مثل: سارة/ راحيل... ومريم.

آ ــ **في مصر القديمة:** كانت المرأة معززة مكرّمة محترمة ــ وكان زوجها يضيعها وهي ترث وتورث بحرية واستغلال.

وقلما نجد في الرسوم المصرية صورة لملك إلا وبجانبه زوجته.

وهناك أسماء للنساء في الحكم والإدارة: مثل حتشبسبوت ــ كيلوبطرة.

ولعل امتلاك المرأة للثروة المنقولة لها من زوجها إضافة إلى مكاسبه المستقبلية كان وراء زواج الأخ من أخته حرصاً منه على عدم ضياع هذه الثروة أو حرمانه منها.. إضافة لضرورة نقاء الدم الملكي في زواج الملوك من أخواتهم. وقد نستنتج من صورة الأنثى البيضاء الضاربة للصفرة بالمقارنة مع صورة الذكر الشديدة السمرة في رسوماتهم بإقصائها في الترك احتراماً وتعظيماً لها.

ب ــ في سومر: كانت المرأة تدير المزارع ولها حق في ممارسة التجارة إنما لم يلغ ذلك سلطة الزوج فهو: يمكن أن يقتلها أو يبيعها وفاءً لدين.

ــ إن زنا الزوج فهذا من قبيل النزوة أما المرأة إن فعلت فالموت عقابها.

ــ أما الأولوية فللمرأة الولود لشدة الحاجة إلى الرجال المقاتلين.

جـ ــ في بابل: "**حمورابي**": كان سبّاقاً إلى الكثير من القوانين الهامة الخاصة بالمرأة: وقد سمحت لها شريعته أن تكون شاهدة وكاتبة وقاضية.

ــ العهد المشروع: تحدّث هيرودوت: "وفيه تلتقي المرأة بالغرباء وتقبل دعوة أحدهم لها للمضاجعة مقابل قطعة نقدية فضية مهما صغر حجمها وقيمتها ويعتبر الرجل زوجها وبهذا تلتزم المرأة بالعفة فما تفرّط بها مهما دفع لها من مال حفاظاً على شرفها وشرف زوجها.

ولعلّ الأساس التاريخي لعادة فرض الحجاب كانت بأن نساء الطبقة المميّزة سياسياً ومالياً يتخصصن بجناح مستقل في البيت وكنّ إذا خرجنّ منه خرج معهنّ الخصيان والخدم.

د ــ في آشور: كان البغاء أَمراً لا بد منه إنما كان محكوماً بالتنظيم القانوني وكان تسرّي الرجل بعدد غير محدود من النساء مسموحاً به لتكثير النسل. أما المرأة فكثيراً ما كانت تبقى في بيت أهلها ويزورها زوجها من حين لآخر.

هـ ــ في اليهود:

ــ المرأة أداة الشيطان، فالشقاء جاء من المرأة ولم يأتِ من السماء.

ــ لا بدّ من الخضوع النسائي المطلق للرجال.

ــ ملاحظة: لا يزال الانتساب إلى الأم قائماً حتى الآن في اليهود.

والزواج شبيه بالشراء، أما حق المرأة باختيار الزوج فكان مستهجناً على أن الشريعة سمحت للرجل باتخاذ الخليلة بينما المرأة تدخل في تركة الزوج يرثه أخوه في زوجته وكان الحجاب واجباً شرعياً.

و ــ في الفرس: كانت قد جُمعت أقوال النبي زرادشت في (الأبستاق) وجاء فيه: "الرجل الذي له زوجة يفضل من لا زوجة له".

وكانت الغنية من النساء: تستطيع أن تسير حرة سافرة الوجه.

أما الفقيرة فلا تنتقل بحريتها إلا طلباً للعمل.

وكانت الرغبة في ولادة الذكور لأنهم يحققون الفائدة الاقتصادية.

ز ــ في الهند: كانت أسوأ الحظوظ تنتظر المرأة.

فهي مصدر العار والتضليل فلا بد من بقائها تحت سلطة الرجل. وإن نادته: فيا مولاي، ويا سيدي، أو يا إلهي.

وتتأخر عنه مسافة في السير. ولا تأكل إلا ما تبقى مـن طعامـه وأولاده. وأما العاصية لزوجها فروحها تتقمص في ابن آوى.

وعندما يموت الزوج فزوجاته تحرق مع جثته. والطاهرة منهنّ تتقدم إلـى الحرق طوعاً فخورة بأنها لا ترغب في الحياة من بعده واحتمال زواجهـا مـن بعده برجل غيره جريمة فادحة.

خ ــ في الصين: البنات في الصـين للبيـت وتربيـة الأولاد، وللـذكور الأولوية لأنهم أكثر قدرة على بذل النشاط الاقتصادي. بالتالي السـيادة للرجـل داخل البيت وخارجه فهو يملك حق التصرف بما وبمن فيه.

ط ــ في اليابان: البيت مملكـة الرجـل الصـغرى. والزوجـة والأولاد يخضعون له، ويستسلمون لسلطته الاستبداية. وحقّ الطلاق بيد الرجل يمارسـه بكلمة ودون سؤال.

ــ والزنا لـه مشروعة ــ وأغلى الزانيات بنات /الجيش/ وهـن مثقفـات بارعات جميلات.

د ــ في اليونان: في العصور الأولى ألّهوا المرأة وكان الرجـل يخشـاها مثلما تخشى أسرار الطبيعة، وكان للإلهات اليونانيات الدور القومي والقوي أيام /سقراط/ وأفلاطون/ وأرسطو/ وسوفوكليز. لكن، وفيما بعد أهمل دور المـرأة شيئاً فشيئاً وراح الرجل يحمل كل المسؤوليات بحيث بقيت هي للهو والتسلية.

ك ــ في روما: احتلت المرأة موقعاً هامـاً واتصـفت بالعفـة والجمـال والجلال، وذهبت بعيداً في عوالم الفكر والسياسة والحكم.

ل ــ في المسيحية: صدرت نظريات من الكنيسة معادية للمرأة وقـوانين شديدة ضدها فهي: شرّ لا بدّ منه أو كارثة مرغوب فيها، وفتنة مهلكـة. فهـي تذكّر بجدتها حواء في أي مكان. وقد أوجب قانون الكنيسة خضـوعها للرجـل وأن تكون أقرب ما يمكن للخادمة له، مقابل حمايته لها.

ــ وأما عن الإيجابيات في حق المرأة فمنها:

آ ــ تحريم التعدد والاكتفاء بواحدة.

ب ــ حقها في الإرث والتوريث.

ولعلّ النظرة إلى /السيدة مريم/ ردّ للمرأة شيئاً من اعتبارها.

ـ المرأة في العصور الوسطى:

قال /الرسول بولس/ وهو بَتْرك المسيحية الأكبر في رسالة له:

"أيتها النساء اخضعن لرجالكنَّ كخضوعكنّ للرّب لأن الرجل هو رأس المرأة كما إن المسيح هو رأس الكنيسة".

وكانت المرأة إما ربة بيت أرستقراطية: تستمع للموسيقا وقصص الفروسية. أو ربيبة دير متقشّفة: عفيفة عذراء، أو امرأة تتعاطى السحر: تتصل بالأرواح مثل /جاندارك/.

ـ المرأة في الجاهلية:

بعدما كانت تشارك الرجل في البذار والعناية بالمزروعات، تضاءل وجودها السياسي لتضاؤل وجودها الاقتصادي. إنما ظروف الحياة البدوية والمصالح القبلية والتجارية جعلت المصاهرة ذات أهمية خاصة، بحيث استُخدمت النساء أخذاً وعطاءً لسيادة القبائل. وبما أن الغزو للرجال فكان للمرأة تسيير شؤون البيت ولأنه يُخشى عليها في الغزو من السبي ــ عرفت عندهم عادة وأد البنات. لكنّ ذلك كله لم يمنع من إضاءات هنا وهناك كانت تتخلل تلك الظلم الاجتماعية من مكان لآخر فها هي ملكة سبأ /بلقيس/: وقد تمتعت بالحكمة والعقل حيث قام حكمها على المشورة واشتهر في عهدها /سد مأرب/.

وكذلك زينب ملكة تدمر، وقد قال فيها "زوزيموس" المؤرخ اليوناني: "إن سيرتها سيرة بطل لا سيرة أميرة".

والزبّاء ملكة الجزيرة: وقصتها شهيرة مع الوزير قصير وعنه شاع المثل: "لأمر ما جدع قصير أنفه". والأسماء كثيرة غيرها.

وكان العربي حريصاً على عرضه وهو القائل:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وكان للمرأة موقعها ــ رغم كل ما سبق ــ في الأدب: شعراً ونقداً ورواية ــ الخنساء. وفي الطرب: غناءً ورقصاً وموسيقا ــ في الاحتفالات الدينية أو الندب على الأحبة القتلى أو استنهاضهم الرجال: حرب البسوس.

وفي السحر: التنبؤ والكهانة.

الزواج في الجاهلية: للمرأة الحرية في اختيار الزوج ولها الحق في الطلاق (ماوية زوجة حاتم الطائي) وهناك رغم الكثير من الجوانب السلبية

الكثير من التقدير والاحترام للأمهات والزوجات.

ــ ومن أبرز المستكرهات في الجاهلية:

١ ــ أنها لم تكن ترث من أبيها وزوجها.

٢ ــ الابن يرث زوجة أبيه كرهاً.

٣ ــ العضل: وهو كره الرجل لزوجته فإساءته معاملتها والتضييق عليها حتى تفتدي نفسها بمهرها.

ـ المرأة في الإسلام :

أول من آمن في الإسلام كان امرأة هي "خديجة".

وأول من استشهد في سبيله "سمية بنت خُياط".

ولأن الزواج مطلب ديني واجتماعي كان لا بد من إعادة النظر في تنظيمه ووضع قانونه: وقد تعامل الإسلام مع حزمةٍ من العادات الاجتماعية بالأساليب التالية:

١ ــ الإلغاء الفوري والمباشر "وأد البنات".

٢ ــ تعديل ما يمكن تعديله. "الحج" /فتحول من الأصنام إلى الإله الواحد/.

٣ ــ التدرج "الخمر".

ــ التعدد:

١ ــ رفض التعدد بالنسبة للنساء رفضاً قاطعاً.

٢ ــ رفض التعدد غير المحدود بالنسبة للرجال.

٣ ــ التأكيد على وجود العدل عند التعدد.

ــ والإصرار ــ على استحالة تحقيق العدالة: ﴿ولن تعدلوا﴾.

ــ الجواري: جاء اقتناؤهم مع السبي فلم يلغها الإسلام كعادة وإنما تدرّج بها وشجّع على الإعتاق. لكن فيما بعد شاعت حياة المحظورات: (في العصر الأموي) فاستبيحت الجواري والغلمان وما ملكت الأيمان.

المتعة: تحليلها وتحريمها ــ يشترط ألا تكون سفاحاً. وأن يَسبق المتعة إيتاء الأجور.

وإن الشيعة يعتبرونها حلالاً ــ أما باقي الطوائف الإسلامية فقد قامت بنسخ حكم المتعة ــ منذ خلافة /عمر/ ــ حيث حكم بالنهي عنها تماماً. فسقطت

المتعة:

١ لمشابهتها بالزنا.

٢ ــ لامتهان المرأة فيها.

٣ ــ وعدم تحقيقها أهداف الزواج الرئيسية:

الاستقرار والحماية والتناسل وبناء الأسرة.

ــ المهر: في الجاهلية والإسلام:

هو من متممات عقد الزواج وواجب شرعاً ــ والزواج من دونه ابتذال للمرأة. ولها حقوق زوجية أخرى: المسكن ــ النفقة ــ المساواة عند التعدد.

ــ الطلاق: "الطلاق للرجال والعدة للنساء".

ويمكن أن يكون الطلاق من حقوق المرأة إذ اشْتُرط ذلك في العقد ويكفي لها أن تدير وجهة بيتها فيعرف أنها طلقته.

والطلاق: فيه حصر /العدة/ بالمرأة وهو منطق الطبيعة.

والطلاق محظور في الأساس مباح عند الضرورة وهو أشبه بوصفة الطبيب عند قيام حالة المرض: "أبغض الحلال عند الله".

وقد حرّم الإسلام: العضل "التضييق" ــ والظِّهار: الإمعان في هجرانها حتى يقول لها أصبحتْ كظهر أمه ــ أي محرمة عليه.

ــ الحجاب: الستر

وقد أتاح الإسلام أن تظهر المرأة وجهها وكفيها وقدميها ــ وجاء الحجاب في القرآن في نساء النبي ــ ثم صار التشدد فيما بعد بحيث صار الإعلان عن اسم المرأة يُعتبر عورة ــ والحقيقة أن الحجاب لم يقتصر على نساء المسلمين فقد كانت نساء اليونان يستعملن الخمار ويخفين وجوههنَّ. وكذلك ترك الدين المسيحي للنساء خمارهنّ.

وفي الجاهلية لم تكن الشريفة العفيفة تتخذ الحجاب لأنها لم تكن تخشى شيئاً أما في الإسلام فقد حُدِّد لنساء النبي وفيما بعد حدث التشبّه بهنّ واعتباره كرامةً وحفظاً للعرض. فكان التعميم هو اجتهاد الفقهاء وبنتيجته تحولت المرأة إلى أسيرة بينما الحقيقة غض البصر هو ما أمر به. وهناك فروق واضحة بين الجلباب: وهو رداء واسع والخمار وهو النصيف "غطاء للرأس" ـــ والجيب، وهو: طوق الثوب وفتحته.

/مراحل بعد صدر الإسلام/:

كان لا بد من التشدد في الحكم على الزنا بسبب الآثار الشديدة التي تنزلها هذه الجريمة على شرف الزوجين أو الشريكين أو شرف أسرتيهما.

فهي إن وقعت تشتمل على فساد النسب والفوضى الاجتماعية وتزيل الفوارق بين الإنسان والحيوان.

الإرث: في الأمم القديمة: تفاوت ذلك. ففي:

بابل: لها الحق أن ترث وأن تورث.

وفي اليهود: لا فرق بينها وبين بقية الأمتعة العائدة إلى الرجل ولا شيء من الإرث للبنات.

أما في الإسلام: فللذكر مثل حظ الأنثيين وأما ابن التبني وابن الزنا فقد خرج من النسب والإرث.

وإنّ في اختلاف حصة الذكر وحصة الأنثى في نظام الإرث أشد الحالات التي حاربها الباحثون، وإن وجدوا لها مبررات اجتماعية واقتصادية وخلقية فالمرأة معفاة من الأعباء المادية وعلى الذكر واجب الإنفاق عليها وعلى الأولاد ﴿الرجال قوامون على النساء﴾.

ملاحظة:

"فالقواعد الشرعية بنيت على ثوابت اجتماعية زال بعضها وفي طريق الزوال ما تبقى منها" ــ القول للدكتور أحمد عمران.

ومقابل ذلك على المرأة: مطاوعته ــ وحفظ غيبته وطهارة فراشه.

ــ المرأة في السّنّة: هناك بعض الأحاديث عن الرسول ﷺ وهي بالأصل غير ثابتة للشك في راويْها وصدق روايته ومنها ما يدين المرأة ويقلل من شأنها فعن /أبي بكرة/: لم يفلح قوم ولّوا أمرَهم امرأة.

وعن /أبي هريرة/: أنه سمع النبي يقول:

"الكلب والمرأة والحمار" تُقطع الصلاة إذا مرت أمام المصلين والحقيقة أنّ هنالك مبررات كثيرة يستعرضها الكتاب تدعو كلها للشكّ في رواية أبي هريرة وغيره كثر.

ــ وعن الجزء الثاني للحافظ المنذري منسوب إلى النبي ﷺ:

"لو أمرت أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها". يقول

الأديب "أحمد عمران/: ففي تعميم السجود على جميع النساء لجميع الرجال تناقض وخطأ لا يصدر عن نبي.. لأن السجود يعني الدونية والتبعية وهذا يناقض قوله تعالى: ﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾.

يقول الأستاذ الأديب: "فنظرتنا إلى المرأة يجب أن تنسجم مع ما آلت إليه من ثقافة وثقل اجتماعي ــ إنها لم تعد الشريك الضعيف المتخلف ثقافياً والعاجز اقتصادياً".

"وأما تعدد الزوجات لزوج واحد الذي كان عادة سائدة عند العرب وسواهم فقد خفف الإسلام من شدته وحدته. وما زال به حتى وصل إلى تخوم التحريم تاركاً للأجيال القادمة أن تحرّمه تحريماً قاطعاً" القول للأستاذ الأديب وعلينا هنا أن نطيل النظر ونعيده مرّة بعد مرّة.

ويقول في الحجاب: "أصبح العمل على معالجته حاجة اجتماعية ماسّة في ضوء القاعدة الفقهية".

"والإرث والشهادة أمام القاضي والقيادة الإدارية والعسكرية" جميعها تحتاج إلى دراسة جديدة جديّة تأخذ بعين الاعتبار درجة التطور التي وصل إليها المجتمع رجالاً ونساءً.

وللأسف الشديد أن بعض الأدباء ــ والمفروض أنهم في طليعة المجتمع ــ مازالوا يتخذون الموقف المعادي للمرأة كما جاء عن زكي مبارك:

"المرأة في جميع أحوالها مصدر فساد ولها مداخل إلى الفتنة يعجز عنها إبليس".

إذن ــ ما زال الوضع الاجتماعي العام للمرأة في المجتمع الإسلامي يحتاج إلى الكثير من المراجعة وإمعان النظر فرغم أن المرأة أول من أسلم. واستشهد فيه وأسماء النساء المسلمات الطليعيات تكثر وتتعدد وتؤكد مشاركة المرأة في مختلف ميادين الحياة إلا أن الحصار مازال يهدد ممارسة مواهبهنّ وتنميتها بحجة الحجاب والاحتجاب "فما كان جميع ذلك احتقاراً للمرأة بل غيرةً عليها وحيازة لها لكي يستقل بها حائزها دون سواه" والكلام للأديب..

وفي العصر الأندلسي الكثير من الأديبات والسياسيات..

فولادة بنت المستكفي أشهر من أن تعرّض.. وكذلك أم سعد الحميرية الأندلسية ومع ذلك "ما تزال المرأة العربية المسلمة تستمع إلى من يقول:

ــ لو عرفتِ يا ابنتي أن الرجال جميعاً ذئاب وأنت النعجة لفررت فرار

النعجة من الذئب، وأنهم جميعاً لصوص لاحترست منهم احتراس الشحيح من اللص".

ــ الكلام للدكتور أحمد ــ

أما المرأة في عصر النهضة الحديثة: وبإلقاء نظرة سريعة على التاريخ الحديث.. لكانت أمامنا إنكلترا الأسبق إلى طريق التحرر السياسي الهادي في حين كانت الطفرات الثورية العنيفة في تاريخ الشعب الفرنسي.

فوضع مونيتسكو "روح الشرائع ــ وروسّو كتاب "إميل". ومع ذلك نسيت الثورة الفرنسية أن تذكر حقوق المرأة وكينونتها الاجتماعية والقانونية.

وفي القرن التاسع عشر ــ كان بوشكين وديستوفسكي ــ هيجو شوبان ــ تشايكوفسكي ــ يعبرون عن ألم وآمال الشعب ومعاناته ــ وقد استبدّ الرجال بوضع القوانين فأهملوا المرأة بل هاجموا تمرسها بالعمل وكافحوه دون رحمة، وقد تبين أن السبب الحقيقي الوحيد هو خوف الرجال من منافسة النساء لهم.

لكن تحت ضغط الحركة النسائية الصاعدة وبمؤازرة الستيزين من الرجال استطاعت المرأة أن تنتزع حقها في المساواة ــ فتتبدل مع الزمن نظرة الرجل إلى المرأة، ولو أن مجتمعاتنا الشرقية تخشى: "أنّ رابطة الزواج سوف تتراخى في كنف الزوجة المتعلمة".

ـ ماذا عن تطور الحركة النسائية العربية؟:

وضحت عظمة إنجازات محمد علي باشا بـ: فتح المدارس. تتابع البعثات إلى أوروبا وفي عهد إسماعيل: تأسست المدرسة "السِّنيَّة".

ثم ظهرت "نازلي فاضل" التي فتحت بكل جرأة بيتها لإعلام الفكر والأدب والثقافة.

ولقد ساهم في دعمها عدد من الأدباء مثل: جمال الدين الأفغاني.. والإمام محمد عبده، والمفكر قاسم أمين الذي وصف البيت المصري وما فيه من إغلاق وتقييد على المرأة وتقسيم إلى قسم للحريم وآخر للرجال، بينما يدل عدد الحريم على غنى صاحب البيت. وعلاقة رب البيت مع هذا القطيع النسائي كانت علاقة الإباحية المطلقة، ــ هذا قبل عصر النهضة ــ

وقد برزت في النهضة النسائية مطالب هدى الشعراوي رئيسة الاتحاد النسائي آنذاك:

١ ــ إصلاح قوانين الزواج على أساس العدل الاجتماعي.

٢ ــ التخلص من الحجاب الذي غدا ــ كفناً ــ أبدياً للمرأة.

٣ ــ المساواة في التعليم.

٤ ــ المساواة في الحقوق السياسية والتشريعية.

ولقد انتقلت عدوى التحرر إلى الدول العربية الأخرى: العراق ــ وسوريا ــ ولبنان ولو أن العزلة ظلّت تخيّم على مساحة كبيرة من حدود المجتمع العربي..

ومن الملفت للانتباه أن الشاب رغم احتياجه للفتاة العاملة كزوجة وشريكة حياة تحمل معه الأعباء المادية فهو ــ وللأسف ــ ما زال يخاف من علمها ــ في كثير من الأحيان ــ ويخشى قوة شخصيتها ويفضلها لو لم تكن كذلك.

ومن المفيد للذكر أن الدكتور العلامة أحمد عمران الزاوي يختتم كتابه /نضال المرأة في مواجهة التحدي/ باستعراض مفصّل لقانون الأحوال الشخصية للمرأة ــ في الدين الإسلامي والمسيحي على حد سواء ــ على أمل أن يصل معه القارئ إلى قرار لا بدّ منه وهو وجوب إعادة النظر في الكثير من التفاصيل عبر هذا القانون ليكون منسجماً مع تطورات العصر لعله يلغي أو يخفف ما أمكن من العوائق التي تصد المرأة عن نجاحها وتفوّقها.. ولعلنا نقرأ دعوة غير صريحة وأحياناً صريحة بوجوب أن نفتح القانون لنقرأه على ضوء المعاصرة.. ونتحمّل مسؤولية التغيير الإيجابي الواجب.

هذا.. ولا بد أخيراً من التنويه إلى أن الكتاب جاء بأسلوب سلس رشيق.. واضح فكان غنياً بالشواهد والأمثلة، وحجج الإقناع المعتمدة على آيات الله البينات.

أخيراً: للأستاذ العلامة كل التقدير والشكر على اهتمامه هذا..

وإنا لنرجو أن نوّفق ما استطعنا كجيل متحرر متفهم واعٍ.. ما بين النظرية والتطبيق... إلى أن تهدأ التحديات وتسود الطمأنينة نفس المرأة التي من خلالها يمكن للنشئ أن يتخذ فسحة الحياة أوسع وجرعة من العطاء أقوى فالشيء الأكيد الأكيد أن حرية وحقوق المرأة من حرية وحقوق المجتمع بأسره.

ولكم جزيل الشكر لحسن استماعكم

■■■

قراءة في كتاب
(كلاّ لم يخرج العرب من التاريخ)

د.محمد حاج صالح

عندما طُلِبَ إلي التحدثُ عن أبي منذر.

أحسست بالموقف الكبير الذي وضِعتُ فيه، وتساءلت عماذا أتحدث؟

عن المناضل الاشتراكي أيام الشباب؟ أم عن المحامي البارع؟ عن العلاّمة أم عن الوحدوي القومي، أم عن الإنسان؟

عرَفْتُه منذ زمن طويل، وكنت دائماً أتهيب لقاءه، تهيبَ من يقف أمام وعاء من العلم والمعرفة والدقة وحدة الذكاء.

لن أتكلم عن سجاياه فجميعنا يعرفها، ولقد فضلت أن أقرأ واحداً من كتبه، فتملكتني الحيرة فيما أختار.

ولعل الموضوع الراهن والمستقبلي الذي يحمل ومضة الأمل لنا رغم الهوان الذي وجدنا أنفسنا فيه هو:

" كلا لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه"

هذا الموضوع جذبني للكتابة عنه، رغم أهمية كل الأبحاث، والكتب التي كتبها بعد توقفه عن ممارسة المهنة البارعة وانتقاله إلى البحث العلمي، حيث ظهر إبداعه المتميز وصارت كتبه هامة للقارئ، ومراجع للباحث، وإذا قيل عن جرير أنه يجرف من بحر وعن الفرزدق أنه ينحت من صخر؛ فأحمد عمران يجرف من بحر وينحت من صخر في آن معاً.

هو حادٌ، دؤوبٌ، قارئٌ، محلل وباحث.

يقال: إن الأفكار موجودة على الإنسان أن يعمل ليلتقطها وحسب؛ وأنا أقول بأن مفكرنا موجود لا ليلتقطها وحسب؛ بل ليصنعها ويبدعها.

العقل النير يستعيد لنا التاريخ وهو يرى المحنة الكبرى التي نعيشها، لقد هاله كتاب " خروج العرب من التاريخ" للدكتور فوزي منصور كما أثرت فيه عبارة سعد الله ونوس.

أخشى أن يكون العرب قد خرجوا من التاريخ رغم أنّ لسعد الله له قول آخر مضاد:

ــ نحن محكومون بالأمل وقد ذكره كاتبنا في نهاية الأمل.

وأياً كانت الظروف فالواقع الحالي مؤلم، دعا الكثير من المفكرين والمواطنين إلى الإحباط.

أما أبو منذر فهو يرى النور البعيد يومض من الشرق من بلادنا كما أومض عبر التاريخ من بلاد هي بلادنا، مهد الحضارات، والتاريخ لا يقاس بالراهن بل بالتراكم الحضاري، والتراكم الحضاري عمره أربعة آلاف سنة، ولن ينتهي خلال قرن أو ثلاثة وأربعة قرون.

إن الكتابة في الموضوع هي قراءة للماضي والراهن.

لنضع أساساً علمياً لدراسة حدسية ونبوئية دراسة لما يستقبل من الزمان.

لا شك أن قراءة الحاضر تظهر الفجوة العلمية الكبيرة بين الغرب والشرق.

وتوضح لنا النظرة الغربية المشوهة للعربي وللمسلم كوجهين للتخلف، وتصورنا كبلدان متفرقة لا رابط بينها سوى الجهل.

وهذا ما يظهر في الاستشراق الذي درسه بشكل كبير ومتميز المفكر المرحوم إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق وفي مقالته الجديدة ما بعد الاستشراق حيث يظهر لنا النظرة الغربية المشوهة عن الشرق والمسلم، ويبين لنا عدم حياد وعدم موضوعية الكثير من المستشرقين.

الذين كتبوا تاريخاً مزوراً عن الشرق نقلوه إلى شعوبهم وأباحوا الاستعمار لبلادنا بحجة تطويرها، والحقيقة لنهبها، ولم يوجد من العرب من يوصل الرسالة الحقيقة للغرب.

يسير بنا مفكرنا أحمد عمران في رحلة عبر التاريخ مؤكداً على أن التاريخ ولد هنا، واستمرت بلادنا مركز حضارة وإشعاع، وأن الإنسانية جمعاء بنت على ما بدأنا وكانت الدورة من سومر إلى مصر وبأيدي فلاسفتنا العظام الذين أمسكوا بدورة التاريخ، حيث نقلوه قديماً من سومر وما بين النهرين، مصر وسوريا، في اليونان وروما.

وفي العصور الوسطى بغداد، الأندلس، أوربا التي بنت الحضارة الجديدة بعد اعتمادها على جامعات ومدارس الأندلس.

في بداية عصر النهضة كان هناك مفكرون في مواجهة العثمانيين.

أما اليوم من يجرؤ في البلاد العربية أن يمتلك جرأة علي عبد الرزاق والكواكبي وفرح أنطون؟

من يمتلك القدرة على تجاوز المحرمات الثلاث.

الدين و السياسة والتقاليد، من المفترض أن يكون المفكرون و السلطة على طرفي نقيض، فالمفكر يرى ويرسم ويخطط، وينقد الأخطاء ويصحح المسارات لكنّ سلطة اليوم تقف في وجه المفكر تدجنه كي يصبح مفكراً لها لا عليها، وهكذا يصبح المفكر مرائياً، وعائقاً أمام التقدم والتطور ويفقد مصداقيته.

ورغم كل هذه الأمور، فمفكرنا متفائل بطبعه، أعاد قراءة التاريخ ودرس التراكم الحضاري، وهو مقتنع أن الحضارة الإنسانية تراكمية،وأننا سنعود لنصنع في التاريخ كما في الماضي وسنكون فاعلين ومنتجين لا بل ومبدعين.

ومنذ البداية أقول إن دراسة الكتاب تحتاج إلى كتاب، وقراءتي هنا موجزة كي لا يمل الحضور؛لكن ستكون أكثر تفصيلاً عند جمعها في مكان آخر.

يبدأ الكتاب بحكاية السرد التاريخي عما فعله الاستعمار الجديد، من زرع لإسرائيل جسر العبور وتعميق الحالة القطرية بدءاً من نابليون؛ الذي أراد اليهود طابوراً خامساً فدعاهم للاستيطان في فلسطين ؟؟؟؟؟؟ إلى السلطان عبد الحميد الذي رفضهم كما رفض طلبهم صلاح الدين.

إلى أن تأسست المنظمة الصهيونية عام ١٨٩٧ بقيادة هرتزل أو موسى الجديد كما وصفوه.

قبل قرن من الزمان وضع العلماء الأوربيون في لندن تصوراً للمنطقة العربية بناء على طلب حكامهم، وبعد الدراسة المطولة جاء الجواب: إذا تحررت البلاد العربية وتطورت علمياً وثقافياً، وفيما إذا سعت للوحدة فسوف

تكون النهاية الحتمية للاستعمار، واضمحلاله لذا وضعت خطة تكرس التجزئة والتخلف والإقليمية، وضع على الكرسي أشباهاً تقمع شعوبها،كما تقرر وضع شعب غريب يفصل إفريقيا العربية عن آسيا العربية.

وهكذا صدر وعد بلفور وعندما قسمت التركة العثمانية بين انكلترا وفرنسا وأخذت بريطانيا فلسطين لتنصب عليها اليهودي هربرت صموئيل الذي فتح أبواب الهجرة وكانت تلك البداية.

يعود الكاتب إلى الماضي فيحدثنا عن تراثنا، عن الكتلة المعرفية الثقافية وإلى التراكم الثقافي والمعرفي والحضاري الذي ترعرع عليه الفكر اليوناني " العربي، المصري والسوري".

وكذلك الفكر الروماني ثم يتحدث عن الفلاسفة العرب الذين أخذوا النظريات عنهم: جابر بن حيان، الفارابي ابن سينا، ابن رشد، ابن طفيل.

وهنا يقول أبو منذر:

علينا دراسة التراث للإفادة منه وتطويره لا أن نعود إلى الوراء للعيش في الماضي.

ينتقل إلى التاريخ ليحدثنا عنه لغة ومفهوماً وحضوراً وخروجاً.

وعن إنكار الغرب لدور الشرق في الحضارة، رغم أن الحضارة الشرقية هي الأساس والغربية صغيرة السن، وأن الحضارة الغربية ليست انفجاراً ذاتياً بل انحدار من ماض، نهل من مهد الحضارات في بلادنا وحضاراتنا.

فالتاريخ هو قاموس الأمة يحمل بين دفتيه نشاطها وخصائصها، وحضارتها وهويات عظمائها ثم يحدثنا عن الحضور في التاريخ فيقول:

إنّ حضور الأمة في التاريخ يقاس بما ابتكرته من قيم حضارية ساهمت في إغناء الفكر الإنساني وفي تطور الإنسان.

قد تمر الأمم بفترات النمو ثم الازدهار، ثم الشيخوخة، وقد تطول فترة حضارتها، ازدهارها ثم تنهار؛ لكنها تبقى مرجعاً للأمم الصاعدة.

لقد بهرت اليونان بحضارة الشرق، ونهلت منها ومن عقائدها فلسفة الحياة، والموت تتلمذت واقتبست وطورت هنا يمر بفلسفة الحرب والسلم، والتفاعلات الحضارية بعدها والتاريخ الذي يكتبه المنتصر؛ لكن الحضارات تستمر حتى بعد زوال الذين صنعوها ؟؟؟؟ وانتشار الحضارة مع الغزو والحروب والسلاح.

لكن كل ذلك لا يلغي القديم بل يستمر ناهلاً متفاعلاً معه مزيداً عليه.

ثم يطرح السؤال: كيف يكون الحضور في التاريخ والخروج منه؟

هنا يسوق مفكرنا أمثلة عن حضور الدول والأمم في التاريخ، مساهمة العرب القدامى في الحضارة اليونانية قديماً، حيث أخذت الرياضيات الهندسية عن مصر، كذلك الطب والفلسفة، وعن فينيقيا الأبجدية (أوغاريت).

ثم أخذ المفكرون الإسلاميون فلسفة اليونان (سقراط ــ وأرسطو وأفلاطون) وأعادوها لأوروبا.

فالموضوع أشبه بدورة حضارية أو تكامل حضاري بين الأمم، و الحضارة العربية التي غابت منذ عدة قرون سبقت حضارة اليونان بثلاثين قرناً من الزمان.

وبعد طرد العرب من الأندلس بقيت حضارتهم لينهل منها الغرب، فالحضارة مخزون إنساني تتناقلها الأمم وتطورها وتضيف عليها.

ثم يتحدث عن الحضور العربي المتواصل في التاريخ:

هنا يرسم الكاتب جغرافية وطننا العربي والحدود الطبيعة ثم يؤكد على كلمة عرب وعلى الحضارة العربية قبل الإسلام والرابط اللغوي لسكان المنطقة في عرض شيق تاريخي لها بدءاً من سومر إلى الكنعانية والعموريين و الآراميين، والأكاديين، والآشوريين، الكلدانيين، كما أنّه لا ينسى الحضارة العربية في عصور ما قبل التاريخ.

ثم يطرح السؤال الكبير؟

هل تم التلاقي بين ظاهرة الإسلام والحضارة القديمة متنقلاً بعدها إلى الإسلام وتياراته الفكرية والسياسية، مذاهبه وحواراته، وإلى تطور الفكر الفلسفي والترجمات وصولاً إلى التصرف وما بعده.

وكأنني بهذا الكتاب المرجع أشبه بكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، حيث كان أحد الوجهاء يملك قافلة من الكتب، وعندما عثر على كتاب الأغاني تركها كاملة ليرافق هذا الكتاب لمن لم يقرأ هذا المرجع أقول إذا أردت أن تعرف تاريخك أيها العربي قبل الإسلام إلى اليوم، وأن تتعرف على زبدة الكلام تاريخاً وفلسفة وأعلام وطباً وعلوماً، فعليك بهذا المرجع، فلقد بدأ المفكر من عصور ما قبل التاريخ للعرب وللإنسانية ووصل إلى العولمة وهو يقول بصرخة مدوية:

ــ لا ، لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه، مثبتاً في كل لحظة حضورنا.

هو يقف أمام استذكار الأمس لاستحضار الغد ونحن منذ عدة قرون أمام واقع محزن وتفكك، ونحن بحاجة لصياغة جديدة نحتاج إلى إعادة بناء اعتباراً من البنى التحتية، مقترحاً البدء من السلوك العام إلى المدرسة إلى أساليب الثقافة والدراسة الاجتماعية استذكار الأمس للدراسة والتحضير. دراسة الراهن للتخلص منه واستحضار الغد كي نبني منهجاً نصل فيه إلى ما كنا عليه في الماضي مشاركين ومنتجين، ومبدعين للحضارة الإنسانية، فالتطور الحضاري الذي كان بطيئاً في الماضي، أصبح اليوم يسير بقفزات أو طفرات نوعية متسارعة.

وعلينا أن لا نبقى مستهلكين لقشور الحضارة، بل فاعلين بها.

وعلينا أن نعي الحقيقة أن الاستعمار ما تزال أعينه علينا، على خيراتنا، ولقد أمسك بنواصي حكامنا.

إن الشعوب والمفكرين في الدول العربية مغيبون، ولابد من اشتراك الحكام والأحزاب الحاكمة مع شعوبها ومفكريها وهذه الطريقة المغيبة هي ذاتها التي تعامل بها العثمانيون مع الشعوب التي حكموها.

لابد لنا إذا أردنا أن تكون فاعلين بقوة في التاريخ من الانتباه إلى إشراك الشعوب في كل شيء.

وهنا يصرخ في وجوهنا مذكراً بإسرائيل الأقوى من الدول العربية المجتمعة وميزانيتها تقريباً تعادل دول الطوق.

ويتساءل ما هي ردود أفعالنا أمام ما يجري، وأمام الخطر القادم.

هل تنبه الحكام العرب لما يجري؟. أم أن الاستسلام أصاب معظمهم.

أين نحن مما يجري؟ ومع ذلك يستعيد الكاتب كلمة الراحل ونوس" نحن محكومون بالأمل" لا ينسى أن يذكرنا بالفارق الحالي بين الحضارة الأوروبية والعرب، وكيف استمرت الحضارة العربية قروناً في العطاء حتى بعد مغادرة العرب الأندلس وذلك بسبب فضيلتي التسامح وتقديس العلم لأوامر دينية انعكست على العلاقة بين العرب والأمم الأخرى، والعرب أخذوا العلوم عن اليونان القديم وأعادوا دراستها وتصفيتها، وأسسوا منج البحث العلمي الصحيح

المعتمد على مبادئ التجربة والبرهان في الرياضيات والعلوم.

والعلماء الغربيون منهم الكثيرون الذين تمردوا وأقاموا صلات مع العلماء العرب حتى أثناء الحرب الصليبية (فريد بك الثاني إمبراطور ألمانيا والسلطان الكامل سلطان مصر و سوريا).

كيف يتعامل الغرب مع العرب؟ وما هي الأسباب التي جعلت العرب في العالم الثالث؟

ــ في الماضي:

ــ اطَّلع الغرب الأوروبي على العرب بعد الحروب الصليبية.

ــ فوجئوا بأن الحضارة العربية ليست الإسلامية، وحسب بل حضارة عمرها ما يزيد على الأربعين قرناً.

في العصر الحديث قام الغربيون باكتشاف الحضارات العربية القديمة في المنطقة (حضارة الأجداد) الكنعانيين الآشوريين الأكاديين العموريين، وتحت تأثير الصهيونية حاولوا فصل تلك الحضارات عن العرب معتمدين على الوهم التوارتي محاولين تفسير اكتشافاتهم توراتياً؛ لكن حجر الرشيد أظهر أن الحضارة العربية المصرية أقدم من التوراة، وكذلك أظهرت المكتشفات السومرية ثم مكتشفات إيبلا.

اتهم الاستشراق العرب بأنهم ناقلون للحضارة الفارسية والهندية واليونانية وغير فاعلين فيها. ثم قالوا أنهم دعاة الحرية، واتهم العرب المسلمون بنظرة الدونية للمرأة متناسين الآية الكريمة.

" يا أيها الذين آمنوا إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

ينتقل الكاتب إلى السبب في وضعنا الحالي والسبب في تخلفنا السياسي والفكري والاقتصادي

١ ــ في الماضي الإقليمية منذ القضاء على الخلافات العربية الإسلامية الأندلس الفاطمية الحروب الصليبية العثمانيون

٢ــ في أوائل القرن العشرين:

الاستعمار الغربي الذي كرس الإقليمية بتقسيمه الوطن العربي واستنزاف الثروات العربية ووضع عوائق وخطوط حمراء أمام الوحدة العربية، وخلق عملاء له في الدول العربية أجلسهم على كراسي الحكم في الكثير من الدول

العربية.

ثم ينتقل إلى العولمة: كوكبة العالم اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً بعد تقسيمه إلى ثلاثة مستويات العالم الأول والثاني والثالث، وإذا كانت أمريكا وأوربا الغربية واليابان في العالم الأول وأوروبا الشرقية في العالم الثاني فنحن طبعاً في العالم الثالث مع باقي الدول والقارات يسوق الكاتب رأيه إن العولمة هي الوجه الجديد للعلمانية التي أخذت عنها فكرة الانعتاق من حدود الدين وطرحت شعار عالم بلا حدود "الكوكبة" وتشكيل مجتمع لا قومي واحد.

ونحن أيضاً مع عالم الجنوب الفقير.

يقرأ المفكر أحمد عمران الواقع الكوكبي بدقة وذكاء دون أن يترك صغيرة أو كبيرة وكأن الكتاب هو تاريخ العالم السياسي والثقافي والاجتماعي والجغرافي، تاريخ الأديان والثقافات والنهج دينياً ثم اشتراكياً ورأسمالياً وعولمياً.

بدءاً من العصر الحجري إلى العصر النووي.

بدءاً من العصر الحجري إلى العصر الكوكبي الذي اعتمد الأسلوب الأمريكي الذي خلا له الجو بعد الانهيار الاشتراكي، والذي صار يفرض عالمية السوق بالترغيب والترهيب.

أين نحن من العولمة؟ وما خطرها علينا؟

ـ اقتصادياً تحولنا لمجتمع استهلاكي لما تنتجه البلدان الكبرى.

ـ إلغاء الخصوصية القومية.

ـ غربتنا في مجتمعاتنا وفي مجتمع الأزرار العالمي.

والسؤال هنا

هل يمكن مواجهة العولمة؟

بتفاؤل يقول لنا مفكرنا إن الأمة العربية رافد حضاري يختزن قابلية الانبعاث، لابد من وقوفنا أمام ذواتنا، قراءتنا للتراث والاستفادة منه قراءاتنا للحاضر، وإتقان العلوم، قراءاتنا للمستقبل كي نكون فاعلين فيه ويعطينا مثالاً على ذلك من الإسلام الذي وفر الظروف الموضوعية للتفوق والإبداع العربي طوال ثمانية قرون وإلى خصوصية اللغة و التاريخ وخصوصية النزوع إلى بلوغ الكمال.

يخلص للقول: لابد من التخلص من الزمن الجاهلي وتفجير الينـابيع مـن ذواتنا بعد قراءتنا للمعوقات القومية ونقد الذات.

يبقى حق الأمة على مثقفيها وحكامها أن يعكفوا على الربط المحكـم بـين الماضي والحاضر والمستقبل ببساطة وبتفاؤل ينادي الحكام أن يسـتمعوا إلـى صوت الشعب إلى المفكرين ضمير الشعب كي يلتقوا.

وأن يشعر حكامنا العرب بأن إصغاءهم للمفكرين للصوت الآخر هو فـي مصلحة الأمة العربية.

فالدخول الفاعل في التاريخ يحتاج إلى دخولنا عصر العلم إلى الحرية التي تمنح الإبداع الفكري.

إلى تبادل الرأي المستمر مع الحكام، أن يشعر الحـاكم حقيقـة أنـه ابـن الشعب العربي ليس في بلد عربي واحد بل في كل البلاد العربية.

وشكراً لإصغائكم

٢٠٠٣/١٠/١٩

■■■

من وحي كتاب
(بؤس الحقيقة)
في أدب سلمان رشدي وصادق العظم

يحيى خضور

لقد تعثرت كثيراً وأنا أحاول أن أضع قولاً على قول الدكتور عمران وذلك لسببين كبيرين:

السبب الأول: أسلوب الباحث الرائع الذي يدخل تحت مصطلح "السهل الممتنع، فلغة الكاتب بليغة من غير ما تكلف، وقاموسه غني وتماسك عباراته آخذ بمجامع الأسماع والقلوب، ومرافعته مقنعة وحجته ساطعةً، كيف لا وهو المحامي اللامع والموسوعي الواسع.

ولشدة عشقي لأسلوبه ولغته، قلت في نفسي، إن أفضل ما أقدّمه بين يدي قرّائه هو اختيار فقرات من كتبه، ودفوعه، وقراءتها ليس إلاّ.

السبب الثاني: إعجابي بإحاطة البحث بالموضوع الذي يتناوله وعمق الدفاع الذي يقدمه ممّا يضع التعليقات أو المداخلات تحت مستوى كتابه.

وكنت قد جلست إلى الباحث الكريم أكثر من مرة وتجاذبنا الحديث في أمر من يضعون مداخلات على كتب أو بحوث.

فيقعون ما بين ماسخ وناسخ والحالتان انتقاص، أو تثقيل لا يغني ولا يسمن.

ومرة وصلت وإياه إلى أن أية مداخلة على بحث أو كتاب لا يصح أن

تجيء إطناباً يتداخل مع النفاق، ولا ثرثرة تضع البحث في صقيع وترش الماء البارد على لهيبه وإذ ذاك رأينا أن الذي يتنطح لمعالجة مؤلَّف، لا سيما إذا كان جدلياً أو تاريخياً ليس عليه أن يزج البحر في كأس، فيقدم ملخصاً مبتكراً ليستغني به السامع أو القارئ عن الأصل وفي هذا ما فيه من الجور على المؤلف والتقتير على القارئ.

وإذا كان مصير الكتب مرهون بإدراك من يقرؤها على حد تعبير أحد كبار النقّاد فأيَّة مسؤولية يحملها من تصل إليه مثل هذه الأمانات التي جاء في أمرها:

﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ صدق الله العظيم

وإذاً ماذا يستطيع البحر أن يقدم لمن هو على الشاطئ غير إشارات إلى سعادته في الاكتشاف والإبحار، وتعطيشاً له وتشويقاً إلى متعة امتطاء التيار.

قال المتنبي:

لكلّ امرئٍ من دهره ما تعوّما وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

هكذا تتسلّق مهنة المحاماة قلم الكاتب الحصيف والباحث المتعمق.. المحامي د. أحمد فكأن الكتاب محاكمة بكل أبعادها، وإنه المحامي القدير الذي يتنطح للمدعي فيفسد عليه جميع حججه وذلك إمّا:

١-بإيقاعه في التناقض في أقواله وإفساد حجته بلسانه.

٢-أو إيقاعه في الكذب وذلك عندما يسوق النقل المسنَد بالشهود ووثائق التاريخ ويشطب بذلك حجة الخصم بتكذيبها ملامساً بذلك القول المعروف:

"تصحيح الأدب بالتاريخ"

أيها الحضور الكريم، إذا قلت إننا أمام قلم حصيف وباحث متمكن فلا أظنني أمدح المؤلف، لكن هذا يقع تحت باب: الأمانة التي ورد ذكرها.

فالدكتور عمران رعاه الله -أخذ على عاتقه منذ زمن الدفاع عن الهوية العربية وعن الحضارة العربية الإسلامية- وقد جاء ذلك في عدة مؤلفات منها:

الحقيقة الصعبة في الميزان -قصة القرآن مع د. شحرور- كتابات من الجحيم وعقائد معجون بالدماء- القراءة المعاصرة في الميزان- كتاب مفتوح

إلى المواطن العربي وتشريح تاريخ الصهيونية –كلاّ لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه– نضال المرأة في مواجهة التحدي، بؤس الحقيقة في أدب سلمان رشدي والعظم.

ولم يلق على ذلك جزاءً ماديّاً لأنه لم يطلبه منذ الأساس.

إنه في ذلك يشبه الصوفيين الذين يخدمون قناعاتهم وجزاؤهم توكيد ذواتهم في حب الله حيث يتدامجون معه ويذوبون في ملكوته.

إنه يقف على باب ما يسمى الشهادة وطالبي زاد الوفاة غير حامل إلا الذي حمله سلمان الفارسي عندما غادر هذه الدنيا ليقف أمام المحاسب الأكبر، غير مزود إلا بالزاد الذي ذكره به الإمام علي /ع/ حيث قال فيه:

وفدتَ على الكريم بغير زادٍ سوى الحسنات والقلب السليم

وغير الزاد أقبح كل حملٍ إذا كان الوفود على الكريم

وهل يستطيع المعلق أن يختزل مؤلّفاً أو ينصفه حتى؟ أشك في ذلك، وحتى المدقق في حال ادعائه الإحاطة بمرامي مؤلف كالدكتور أحمد. لا أظن أنه يستطيع ذلك ولعلّي أتلمس في قول الناقد أنطون كرم ما يعينني على توكيد فكرتي بحيث جاء في أحد أقواله في معرض حديثه على المتنبي ما يلي:

"إن كل ما كتبه النقاد حول المتنبي، بما فيهم المستشرق بلاشير وطه حسين واليازجي والبرقوقي ليست أن تصح أن تكون جميعاً إلا:

"مدخلاً إليه وهوامش".

لقد فكك المستعمرون الجغرافيا العربية كما هو معلوم ولم يبق عليهم إلا تفكيك التاريخ، وها هم يهوون بمعاولهم الثقيلة عليه منذ الحروب الصليبية إلى اليوم مستعينين مرة بالمستشرقين المأجورين ومرة بمحمولات التراث المتخالفة التي دأب عليها الوضّاعون والمعادون للسلف وللإسلام منذ آياته الأولى وحيث موطئ أقدامه.

وينضاف سلمان رشدي وأدبه الهزلي في كتابه آيات شيطانية إلى جملة الوضّاعين المناوئين أمثال الواقدي والقرظي وابن الراوندي، والطبري الذي أخذ عنه رشدي والذي قال عن نفسه: أنا كتبت ما سمعته فما خالف العقل فاطرحوه وما ذلك إلا لأن رشدي يطلب هوية من بريطانيا بعد أن داسَ على هويته الشاخصة أبداً في حروف اسمه "سلمان رشدي".

وهيهات أن يتقبله البريطانيون إلا لاجئاً.

يقول المؤلف د. أحمد عمران في ص /١٠٧/.

حتى الكاتب أنيس منصور المعروف بتأييده الفكري للصهيونية رفض كتاب رشدي حيث قال:

سلمان رشدي كان يعلم أن روايته سوف تلقى معارضة في كل مكان، هذا عدا عن أنها هلوسة تاريخية وعبث فني بالأحداث والأسماء.

فـ: مكة، سماها الجاهلية

وأبو سفيان سماه أبا سمل

وبلال الحبشي سماه الجرافة، والناهق والغول الأسود

وسلمان الفارسي سماه الباغي الذي ينشد النساء والخمر ويختلق في الوحي على هواه ثم يقرؤه على الرسول مرة أخرى فلا يستنكر محمد منه شيئاً.

وإبراهيم الخليل سماه البطرك وابن الزانية الذي ركل هاجر في الصحراء وعندما سألته:

هل هذا أمر الله؟

قال: نعم هذا أمر الله.

وبيت حجاب: هو بيت الدعارة

ونساء النبي هُنَّ عواهر بالمطلق

وخص السيدة عائشة بلقب المومس، ولعلّ ذلك من باب التكريم الغنّي روائياً. وجبريل هو رجل أعمال.

وأما الرسول الكريم فهو ماهوند أو من معانيها: المزيّف وكلب الصيد وهذه كلُّها من مذمّات القروسطية المتعصبة وهرطقاتها.

وجعله يدخل على امرأتين في يوم واحد. عائشة وأخرى والقرآن نزل من جبرائيل على شكل أوامر منه للناس في كل شيء، الطعام والشراب، وكيف ينامون وكيف ينظفون أنفسهم...

بل وكيف ينامون في الفراش.

ونجيب محفوظ الذي يجعل منه العظم، معبَّداً للطريق التي انتهجها رشدي أعلن في الأهرام: بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢م. وجوب مقاطعة دور النشر التي تتولى نشر كتاب "الآيات الشيطانية لرشدي"

ومن باب العرض الذي قد يسعف في ربط المسائل بمواضعها من مؤلف د. عمران بؤس الحقيقة

في أدب سلمان رشدي والعظم ويعطِّش السامع إليها ويشوقه إلى تتبع أفكار رشدي، وطروحاته الفاسدة في ردود د. عمران عليها.

أسرد موضوعات الكتاب سرداً، فلعل السّرد، بحد ذاته، نوع من الإشعاع الملفت للانتباه الداعي للتتبع في الأصل:

الفصل الأول: تحليل قصة الغرانيق لغوياً وتاريخياً وبيانياً في رواية آيات شيطانية.

الفصل الثاني: موقف المؤيدين والمعارضين من كتاب رشدي وفتوى الخميني بهدر دمه.

الفصل الثالث: دفاع رشدي عن نفسه وتحليل الدفاع

الفصل الرابع: جولة في بعض ما جاء في كتاب:

نقد الفكر الديني لجلال صادق العظم.

الفصل الخامس: جولة في كتاب: ذهنية التحريم للعظم.

الفصل السادس: الموقف الأوربي في قضية رشدي ومبدأ حرية التعبير.

الفصل السابع: كيف يطبق الغرب حرية التعبير.

الفصل الثامن: قراءة متأنية في كتاب: ما بعد ذهنية التحريم للعظم.

الفصل التاسع: خلفيات الدفاع عن رواية: آيات شيطانية.

الغرانيق مفردها غرنوق وهو طير الماء المؤنث وهو أبيض جميل وقد سمى عرب الجاهلية بعضاً من آلهتهم بأسماء مؤنثة وهي اللات والعزى ومناة.

وقد نسب إلى الإمام علي /ع/ هذا القول، لكأني أرى إلى الغرنوق من قريش يتشحّط في دمه" والغرنوق هو الشاب الجميل المكتمل المتباهي بجماله واللاهي به عن كل ما عداه.

تحت أشعة تحليل المؤلف د. عمران لرواية آيات شيطانية لسلمان رشدي تتحرك الرواية كأدب إبداعي على خطين:

الخط الأول: اتخاذ رواية الطبري الذي نقل الرواية عن ابن القرظي اليهودي، أعني رواية آياتٍ على لسان الرسول محمد (ص) من سورة النجم جاء فيها:

﴿أفرأيتم اللات والعزّى، ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا. إن شفاعتهن لترتجى﴾.

فقد روي أن محمد قالها حيث كان قد داخله الشيطان في تلك الساعة في رأي، ومن هنا جاءت تسمية: آيات شيطانية وفي رأي رشدي أنه كان يعترف للجاهليين بآلهتهم وملائكتهم في مقابل السكوت عن بعض ما جاء به هو، وفي هذا تكذيب كبير /لو صحَّ/ للرسالة وللوحي برمته، وبذا يسقط كلّه بسقوط بعضه ويسقط أن يكون محمد رسولاً ويتهاوى التاريخ الإسلامي برمته ليصبح تاريخاً شخصياً لمحمد.

ويرد الدكتور عمران في ص /٦٨/ عليه بتتبع الرواة والإشارة إلى الخلل الزمني في الرواية والذي يشير بدوره إلى خلل النص وبالتالي سقوطه بلغة المحاماة والتحقيق يقول:

الرواة الذين تعتمد عليهم الرواية الواقدي والطبري وابن كعب القرظي.

والواقدي عاش بين ٧٤٧-٨٢٢م

والطبري بين ٨٨٩-٩٢٣م

ومحمد ابن اسحق بين ٧٠٤-٧٦٨م.

فلماذا لم ترد قصة الغرانيق في مدونات محمد ابن اسحق مع إنه أقدم من الطبري وأقرب إلى عهد الرسول والصحابة.

بل لماذا لم ترد على لسان أحد من الصحابة

يتابع د. عمران:

إن ابن اسحق هو أول من جمع المغازي والسيّر والقصص المتعلقة بحياة النبي وهو الذي قال عنه الشافعي:

من أراد أن يتبحر بالمغازي فهو عيال على ابن اسحق.

ألّف السيرة النبوية بناء على طلب المنصور ليعلمها لابنه المهدي.

أما الطبري /يتابع د. عمران/ فقد روى حادثة الغرانيق عن محمد بن كعب القرظي الذي كان والده دون سن البلوغ حينما استتب الأمر للدعوة الإسلامية.

والطبري قال عن نفسه: أنا أخذت كل ما سمعته من حوادث فما خالف المنطق والعقل فاطرحوه وأنا لا أبدي رأياً.

وأما محمد بن عمر بن واقد المشهور بالواقدي فقد قال عنه الذهبي: خلط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك. والمحدثون ضعَّفوه ولم يثقوا به.

وابن الراوندي:

الذي اعتُمد مرجعاً عند سلمان رشدي واستشهد به الدكتور العظم في ص /٤٤/ من كتاب "ما بعد ذهنية التحريم".

ابن الراوندي هذا فيلسوف زنديق ملحد، كان أبوه يهودياً فأسلم الابن، وكان اليهود يقولون للمسلمين: [ليُفسدنَّ عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة]، لازم أصحاب البدع والإلحاد. ألف كتباً عديدة في الزندقة والإلحاد. طعن بالقرآن والشريعة وانتقص من كرامة جميع الأنبياء.

قال:

إن أكثم بن صيفي أتى بأقوال أحسن من ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ طعن برسالة محمد بكتاب سمّاه: الزمّرد.

ألّف كتاباً ادّعى فيه وجود اللحن في القرآن فردّ عليه الجبائي شيخ المعتزلة بقوله: قرأت كتاب هذا الجاهل فلم أجد فيه غير الافتراء.

وقال الفقيه الهندي مولانا محمد علي عن رواية الغرانيق:

هذه الرواية وردت عن الواقدي والطبري وإن كل ما فعل من أفعال رسول الله مخالف لها بالإضافة إلى أن الواقدي معروف بسرد الإسرائيليات ومشهور بوضع الأحاديث، كذلك الطبري مشهور بالجمع الكثير المختلط لمختلف الروايات مهما كان نصيبها من الصحة.

ص ٧٠ وما قبلها من ردّ د. عمران

بالطبع للدكتور عمران دفوع أخرى استخدم فيها المنطق وإيقاع رشدي بالتناقض في روايته في غير موضع وكان من ردّه.

الخطّ الثاني: وهو خط حساس جداً لدى المسلمين وقد اتخذ منه رشدي راية إثارة وشذوذ، بالطبع يستغرب منه المؤلف ذلك وهو الذي يعيش في بريطانيا التي أقرت قانون اللواط منذ نهايات القرن العشرين، حتى اللواط يطويه رشدي تحت إبطه الواسع ليقفز إلى حياة المسلمين الأول والتي جعلها مسرحاً للهو والعبث والشذوذ، فزوجات النبي عواهر بإطلاق، وسلمان الفارسي يتعارك في الليل مع غانية على مبلغ لم يدفعه لها بتمامه بعد أن تمتع بها.

والرسول محمد يدخل على اثنتين في ليلة واحدة ويغتسل ست مرات رغم ندرة الماء.

ولعلَّ رشدي توقع لروايته أن تصل إلى المراهقين لتكثر مبيعاتها.

يقول فرويد: إن يد الجنس الثقيلة تهدد الجنس مصير الجنس البشري.

صحيح.

وفلاسفة كثر يفسرون التاريخ تفسيراً جنسياً، لكن ليس الوحي والتاريخ شيء والوحي أمر آخر.

في الحق أن الرسول الكريم وبأمر من ربه، حلَّ مشكلة الجنس كأحسن ما يكون الحل.

فمع التوسع في عدد الزوجات، وبحسب حالة الزوج وكفاءته، ينتفي التعدي والزنا، وهناك رخصة أخرى هي الزواج الموقت باتفاق، تحت ضوء النهار، وفي هذا ما فيه من قطع دابر الحرام والزنا وتعطيل فن التجارة بالأجساد، والتي كانت سائدة في الجاهلية مع كل ما تستجره من إهانة لجسد المرأة وروحها.

أليس الزواج باتفاق من امرأة ثانية أكثر نظافة وهدوءاً للنفس والمجتمع من الخيانة الزوجية السائدة في مجتمعات الغرب، حيث يغرد رشدي بأنغامه لمن لا يسمعه هناك.

وحتى الطلاق، عند عدم إمكانية المتابعة، هو حل إسلامي رائع لمشكلة الشقاق وعدم التوافق الزوجي ومراعاة للصحة النفسية والانفعالية للطرفين، وأخيراً تفتي الكنيسة بجواز الطلاق، ليس إكراماً لرشدي ولكن مخزاة له. ولروايته وهلوساته وتجاوزاته وانحرافاته النفسية حيث كثيراً ما يستجرُّ القلم راكبه إلى الإفشاء نيابة عن صاحبه الذي كان يختبئ خلف غمامات الحبر الأسود.

إن عادة تعدد الزوجات عادة معروفة في آسيا وقد كان لسيدنا إبراهيم زوجتان سارة وهاجر.

وهذه العادة معروفة في إسبانيا وفي الشمال الأمريكي قبل الإسلام بكثير.

والرسول سهَّل على الشباب مسألة الزواج فلم يعد الذهب ولا السياق ضرورة فقصة الرسول محمد (ص) معروفة مع ذلك الرجل الذي جاء يطلب امرأة ليتزوجها. فسأله الرسول: ماذا عندك من سياق.

وما زال يتنازل معه في السياق والرجل يقول:

ما عندي

حتى قال له الرسول: ماذا تحفظ من القرآن.

لقد زوجتك إياها بما تحفظ من القرآن.

وثم عقَّد القران بما تلاه الرجل من الذكر الحكيم

عقدة الجنس موجودة في عالمنا العربي الإسلامي وقد قامت عليها رواية آيات شيطانية كقطب مهم في الإساءة إلى رجال الإسلام الأوُلْ، وفي الإثارة التي تفضي إلى رواج سلعة الرواية.

وقد اعتمد كثير من الرواة على هذا التطعيم بالجنس في رواياتهم، وكأن الجنس هو المشجب المفضل أو اليافطة الفائقة اللمعان للترويج التجاري والسينمائي.

ولقد أثنى د. عمران على الحياة العائلية للإسرة المسلمة في غير موضع في مؤلف آخر سمّاه "نضال المرأة في مواجهة التحدي".

وفيه يؤكد أن الإسلام حرر المرأة من الرق وجعل لها ملكية خاصة، وضمانة في مؤخر الصّداق، في حين أن المرأة في غير أمة تحمل السياق إلى الزوج وهو حرٌّ به بعد ذلك وله الحقّ في حرمانها منه، دون أن يكون لها حق الاعتراض.

إن الغرب الذي يعيش رشدي بين ظهرانَيْه لا يقيم لما كتبه وزناً إلا بمقدار ما يسيء إلى المسلمين، بحسب تصوراتهم هم.

ذلك أن الغرب الذي يعيش رشدي تحت مظلته نادى بالحريات الشخصية وطرح الإباحية في مشروع حضارته الصناعية الكبرى.

إن المحور الأخلاقي الذي اعتمده رشدي مشعلاً لروايته ساقط في الغرب، إلا بمقدار ما يسيئ لقداسة الرعيل الإسلامي الأول الذي هو في مرتبة العصمة والنقاء البشري والعفة والأخلاق عند العرب والمسلمين.

لقد أوقع المؤلف د. عمران صاحب آيات شيطانية بالتناقض في أقواله في أكثر من مكان حيث أورد عنه مواقف متضاربة:

فرشدي يعرض أنه مسلم تارك مرةً.

ومرة يقول: أنا موحّد ومعترف بالرسالات السماوية.

ومرة يتعجب ممّن لاموه أمام الصحفيين وهو أعلن عن نفسه أنه ATH: أي ملحد ناكر وبالطبع ليس بعد الكفر ذنب.

ويذكرُ أحدُ مقدمي كتاب د. عمران بأن رشدي نال حوالي مليون دولار من دار نشر لليهود في لندن عن روايته.

أما د. العظم فيقول عن رشدي: إنه صوفي وقديس وأنه لم يسئ إطلاقاً إلى الرسالة، بالتأكيد هذا كلام سكران، بعد الذي ورد في رواية رشدي من هنات عظام، إذ كيف ذلك وأقلّ مافي الرواية إدعاء ومروق وقلة حياء وصفاقه وكذب رخيص ونذالة حيث جاء في الرواية على سبيل المثال:

"كان محمد –ماهوند– يجتمع عند الكعبة مع لفيف من أصحابه ليقيم مجلس شراب الخمر ويتابع:

وكان غرائزياً، فقد طلب من الله إذناً بمضاجعة نساء العالم كله.

ومرةً جعله يخاطب ذاته قائلاً والله لا أدري هل أنا إنسان أم جرز "ص٥٥" بؤس الحقيقة.

وينتهي إلى أن قصة الغرانيق وسيرة الرسول بعثت رشدي على الطعن بالرسالة المحمدية وألزمته إلزاماً أدبياً أن يصرخ بين الناس محذراً من التعلق بالسراب النبوي والكتاب الخلّبي.

بؤس الحقيقة معك حق أيها المؤلف د. عمران فالحقيقة تبدو بائسة جداً، فالغرب الذي صفق لرشدي من باب حرية التعبير واحترام الإبداع يقاضي المؤلف روجيه غارودي على كتابه. الأساطير المؤسسة للدولة العبرية

وتحكم عليه المحكمة العبرية بغرامة، أما رشدي فيمنح الأمان وتستضيفه ملكة بريطانيا رافعة عليه علم الحماية.

وإذا كان مفتاح الشخصية يقع في نزواتها فإن تفسير الرواية يبدو سهلاً ورشدي يظهر عارياً، إذ ذاك على أن الأمر لا يخلو من منصفين في ملجأ رشدي ذاته.

فقد قال عنه المفكر البريطاني "رولد ديهل" في صحيفتي: ديلي نيوز والتايمز:

رشدي: انتهازي خطير لديه معرفة عميقة بالدين الإسلامي، ومعتنقيه. ومن الضروري أنه كان مدركاً للمشاعر الجياشة العنيفة التي يمكن أن يثيرها كتابه بين المسلمين المخلصين لدينهم، وهو الحامل لدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

إن هذا النمط من إثارة الحساسية قد أوصل كتباً غير متميزة على الإطلاق إلى قمة قائمة أكثر الكتب مبيعاً في العالم.

ولكنه في نظري أيضاً انتهازي خطير، وفي النهاية أعتقد -يقول ديهل- إن سلمان رشدي مأجور[٢].

ذاك غيضٌ من فيض قدمته من وحي كتاب المؤلف الموسوعي والباحث د. المحامي أحمد عمران الزاوي. حفظه الله.

وإذا كانت لي كلمة أختم بها تعليقي المقتضب فهي الآتي:

وحتى في العلوم التي تبدو تجريبياً، أكثر مناعة على الشك. لقد قال أهل فلاسفة العصر: المشكلة أن أهل اليقين غير متيقنين من تمام يقينهم في حين إن أهل الشك غير مرتابين في شكوكهم. لقد قرأت آيات شيطانية مترجمة، فلم أعجب بها كإبداع.

فبصرف النظر عن تحريف التاريخ الذي مارسه رشدي ولا أقول توظيفه أو استخدامه أو تكليفه ما لم يقله أو حتى ما لم يستنتج منه.

فإن الروائي رشدي بنى كل شخصيات الرواية على عقدة الجنس أولاً.

وعلى ما يناقض المفهوم التاريخي للشخصيات، ذلك المفهوم الذي لا يستطيع رشدي ولا سواه، أن يلّونه ببضعة لطخات قذفها مشاغبون أو مغرضون على صفحة الحوادث الناصعة والمواجهات التي غطت وجه التاريخ والجغرافيا في بقعة كبيرة من الكوكب، فالمسيح بعد الصلب تحول إلى إله.

وكذلك الإسلام بعد رشدي أضاء بروجاً كانت في القمة وأخرج رشدي من دهاليزه وأظن أن الرواية "لولا فتوى الخميني" قدس سرَّه لما أثارت انتباه أحد، ولكانت مرت كما تمر بعض الروايات الأسطورية التي تكتب لنقل الخيال إلى

---

[٢] ص ٥١-٥٩. بؤس الحقيقة.

مواضع أخرى غير عادية ترويحاً عن النفس بمخالفة المألوف وتجريباً في عالم الوجدان والنفس الغنية بنوازع شريرة يرفع عنها الستار.

لقد أعجبتني طريقة د. عمران في التفريق بين الفكر الديني والتفكير الديني.

حيث الفكر الديني ساطع ولا يقبل التأويل وهو من أجل كل البشر وخاصة رسالة الإسلام أما التفكير فهو حامل لمزاج المفكر وتفسيره، وقد لا يتفق مع الفكر الديني الأصلي.

"ختام"

منذ ما يقارب ثلاثة قرون قدمت الكاتبة ماري شيللي روايتها الصادمة /د. فرانكشتاين/.

وفيها يدخل د. فرانكشتاين إلى مخبره السّري ليحضّر إنساناً.

وفي يوم من أيام التجربة يضع هذا المصنّع على الطاولة هيكلاً بشرياً وينفخ فيه الحياة فيتحرك إنساناً مسخاً، يهرب منه الناس وهو يوادعهم وهم يؤذونه.

وكانت الكاتبة ترمز إلى أن العصر الصناعي قد يأتي بغير المألوف الذي عهده البشر وهنا تكون الصدمة. أو ربما الكارثة.

ويعجب بها الكاتب الرومانسي /بيش شيللي/ ويتزوجها على زوجته الأولى التي انتحرت فيما بعد يأساً وإحباطاً.

وكانت الكاتبة الروائية ثروة عند الكاتب إذ صرح هو بقوله إنها "الكنز الثمين" وقد اضطرت للهرب معه من بريطانيا "من لندن" المتزمتة إلى أوربة.

وقد أصيبت الكاتبة على ما يظهر بنوع من الصدمة بعد أن قرأت الفلسفة والشعر، بناءً على طلب زوجها.

ولم يجد الكاتب شيئاً يساهم في إعادة الهدوء إلى روحها القلقه أكثر من كتاب فأهداه كتابه إلى ممرّ "ثورة الإسلام".

ولن أقف معلقاً على هذه الحادثة فهي غنية بذاتها وإشاراتها عن كل تعليق. المرجع مجلة العربي ص /١٤١/ العدد /٥٣٩/

بهذا أختم كلمتي وأوجه الشكر والتقدير للمؤلف والباحث د. أحمد عمـــران الذي تجشم عناء البحث ومسؤولية.

وإذا كان لي أن أرشحه لمرتبة ما فإنني أرشـــحه لمرتبـــة هـــادٍ معاصـــر وفدائيٌّ رائع من جنود الحق السّلام وإذا استغرب أحد اقتراحي فإني أذكر بكلمة الرسول الكريم محمد /ص/ لزينب بنت جحش حين أهدته نفسها حيث قال لهـــا وهو الذي لا ينطق عن الهوى كان أبوك نبيّاً ضيّعه قومه" والجملة موجودة فـــي أكثر المصادر موثوقية. أيها الحضور الكريم شكراً لاستماعكم، وأحـــيلكم إلـــى كتاب المؤلف فقيه كلّ غناء.

■■■

الميزان
(شهادة)

مالك صقور

الميزان: مرسوم ومنحوت، وله تماثيل على واجهات قصور العدل ودور المحاكم في كل أنحاء المعمورة.

والميزان: رمز العدالة.

وللميزان كفتان: إنْ تساوتا، كان العدل.

وإن كانت كفة شائلة، وكفة هاوية، فالخلل موجود ليس في المجتمع فحسب، بل في كل مناحي الكون.

وللميزان: حافظ، وحامل، وحام: كي يبقى التوازن، وأما حافظ الميزان، فهو القانون، والحامل والحامي: هما القاضي والمحامي. وهؤلاء يجهدون كي تبقى كفتا الميزان على مستو واحد.

ولا أعرف، إن كانت كلمة (محام): كصفة، واسم، وفعل، ومهنة، تعني في اللغات الأخرى، كما تعنيه بكل فصاحة في اللغة العربية.

فكلمة المحامي جاءت من الحماية.

حماية الإنسان، وسلامته، وأمنه، وشرفه، وملكيته، حماية الأخلاق والآداب العامة.

حماية المجتمع، والوطن.

والفارس الذي نحتفي به اليوم، هو محام، قضى خمسين عاماً في خدمة القانون. وللقانون حقوق.

والحقوق، هي العمود الفقري للنظم والضوابط البشرية، ومن غير هذه الحقوق، لا يمكن أن يستقيم المجتمع.

وفارس هذه الأمسية، حقوقي بامتياز. فقد كان دينه وديدنه: العدالة والميزان. ولهذا، أرى، أنه ليس مصادفة أن تأتي كتبه الأولى تحت عنوان:

١-الحقيقة الصعبة في الميزان

٢-القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان

٣-القرآن والمسيحية في الميزان.

ومن يقرأ هذه المجلدات، بتأن، وحيادية، وإنصاف، سيكون على يقين، بأن ميزان أحمد عمران، ليس فيه كفة شائلة، وأخرى هاوية، وإن وجَدتْ، فإن الكفة الراجحة، هي في صالح الحقيقة.

لقد انبرى الأديب الهاجع في أعماق المحامي- الباحث للدفاع عن هذه الحقيقة، ولوجه الله، والحقيقة ذاتها.

وهذا ما أملاه عليه ضميره الحي، وواجبه الديني، والوطني والقومي.

الحقيقة، التي أشبعوها تشويهاً، وأوسعوها تزييفاً، سواء في كتاب "قس ونبي"، سواء في الفهم المعاصر من منظور آخر للقرآن، أو في التفرقة، وإثارة النعرات بين الأديان السماوية أو، في "آيات شيطانية".

فانطلق الدكتور الباحث أحمد عمران المؤمن بعقيدته، وعروبته بوضع النقاط على الحروف، مدافعاً بشجاعة الباحث الرصين الأمين، عن أصول رسالة محمد الإنسانية، مبيناً التلفيق، والزيف، والنفاق، وكل ما جاء به مأجورو و"سلسلة الحقيقة الصعبة". وما افترى به كاتب من أصل مسلم، في نص سمّاه رواية سيئة الشكل والمضمون، تحت عنوان "آيات شيطانية".

كما وَفَنَّد مزاعم من انتصر لهذا الشيطان من العرب، والسوريين، وتحزبوا له بحجة حرية التعبير وحرية الرأي. ولقد ذاب الثلج وظهر المرج، وانكشفت النوايا القذرة لمؤلف "آيات شيطانية" وتبين أنه كتبها بإيعاز من دوائر البغي في الغرب. وذلك من ضمن حملاتها المسعورة، على ديننا، ووطننا، وحضارتنا، وثقافتنا، شأنه شأن مأجوري "سلسلة الحقيقة الصعبة" المشبوهة، من أجل زرع

الشك في النفوس، وزعزعة الثقة بالدين الحنيف، ورمزه الأول، وإثـارة النعـرات بين المسلمين أنفسهم من جهة، وبين المسلمين والمسـيحيين مـن جهـة أخـرى، والدليل على ذلك، مع الأسف الشديد، أن مشيخة الأزهر في القاهرة، تلقت توجيهـاً سياسياً، فعارض فتوى الخميني، وكان ذلك مقصوداً، من أجل الوقيعة بـين السـنة والشيعة، في حين عارض الفاتيكان التجديف على الأستلام.

ودقوا طبول الضجة الكبرى حول تلك الفتوى، ولم يحركوا ساكناً من أجل قتل عشرات الآلاف من الأبرياء، حتى وصل الأمر إلى كل رؤوسـاء العـالم، ومن الذين بينوا هذه "القضية" المفتعلة، هي زوجة الكاتب المرتد، وهـي كاتبـة أميريكية، إذ فضحت أكاذيب زوجها وكشفت ألاعيبه، بعد أن تيقنت أن الروايـة وهذه الضجة جزء من مؤامرة كبيرة، فطلبت الطلاق ورجعت إلى أميريكا.

وها هو ذا المحامي المفكر، يرى كيف أن الفئة الباغية في هذا العالم تعبث فساداً وتخريباً، في كل أنحاء الأرض، مُستغِلةً أخطبوطيتها، وقـدراتها الماليـة التي لا تحد، وكثرة، وتنوع جواسيسها الذين اندسوا في كل مناحي المجتمعـات والمنتديات تحت أسماء كثيرة مضلِلة، فأصدر مجلداً هامـاً بعنـوان "الجحـيم والعقائد المعجونة بالدماء". مبرهناً بالوثائق والأدلة الدامغـة، كـذب وافتـراء وتلفيق العقيدة اليهودية التي أفرزت الماسونية ثم الصهيونية المجرمة. ومـا أن فند مزاعم العقيدة اليهودية الظلامية التي شوهت تاريخ البشرية، حتـى شـرّح تاريخ الصهيونية الأسود. وراح يفضح خرافاتها، وأساطيرها، وجرائمها، منـذ المؤتمر الأول، مروراً بأروقة الأمم المتحدة، وانتهاءً بكل الجرائم الدموية التـي انتهكت حرمة الإنسانية، في لبنان، وفي فلسطين، وفي العراق، وفي كل مكان.

وها هو ذا المحامي –الأديب، المثقف الغيور على وطنه وشـعبه وأمتـه، يوّجه كتاباً مفتوحاً للمواطن العربي، هذا الخطاب المفتوح موّجه للحاكم العربي، قبل المواطن المغلوب على أمره.

مُنذِراً ومحذراً من الأخطار المحدّقة بنا، وإحاطتها ببلداننا إحاطة السـوار بالمعصم.

وها هو ذا أحمد عمران– العربي، يقول للعرب كافة: اخرجـوا رؤوسـكم من التاريخ، ولا تخرجوا التاريخ من رؤوسكم. مُذكراً عرب اليـوم، بـالعرب الأجداد، ورايات الفتح الخضراء، والرسالة الإنسانية التي حملوها إلى الغـرب الأوروبي وحتى الصين شرقاً، والمنزلة العلمية والمعرفية التي حققوها، وأخذها الغرب عنا، وبالوقت نفسه، صوّر وجسّد عرب اليوم، وإلـى أي درك وصـلوا

من درجات التخلف، والتجزئة، وعدم امتلاك الرأي الواحد. وبيّن كيف، ولماذا حُشر العرب في درجة العربة الثالثة في هذا العصر، فاتحاً باب الأمل للأجيال –عل وعسى– أن ينتقموا لعجزهم، وتخلفهم، ليحتلوا موقعهم تحت الشمس، من أجل العيش الكريم من غير ذل، وليستعيدوا دورهم التاريخي والحضاري.

وها هو ذا الأديب –الإنسان، العارف المدرك لقضايا المجتمع، يكتب "سفر المرأة" عبر العصور، ما لها، وما عليها، منذ حواء حتى يومنا هذا، مبيناً: من هي المرأة، موقع المرأة، ومنزلتها، ودورها إلى جانب الرجل في المجتمع، والمدرسة والبيت، في هذا الزمن، زمن التحدي.

ولأن العدالة، هي شغله الشاغل، إذ كانت قضيته، وما زالت، فيسرد "حكاية" العدالة، بالإضافة إلى الشرائع والقوانين التي وضعها بنو البشر، منذ حمورابي قبل الميلاد، وحتى الآن. فيقوم برحلة، يتقصّى العدالة الإلهية، في كل أصقاع الأرض، ببحث شيق تحت عنوان: "العدل الإلهي والتناسخ"، يحمل القارئ برحلة ممتعة، في أرجاء المعمورة، مخترقاً الزمان والمكان، يزور خزائن التاريخ، مذ بدء التاريخ، في الصين، واليابان، والهند، والقارات الخمس، ينبش ما في صدور الكتب النفيسة، وكيف تصورت وجسدت العدل الإلهي، ويستخلص العبر والنتائج، مبرهناً، على صحة التناسخ، أو التقميص، وهذا ما خصصت الدول العظمى له، معاهد للدراسة والتمحيص.

***

لقد امتلك الدكتور أحمد عمران ناصية اللغة والأسلوب، وقدم مؤلفاته، بلغة عذبة، رقيقة، وأسلوب شيق، جزيل العبارة، دقيق المعلومة، دامِع الأدلة.

***

الأستاذ، المحامي، الباحث والدكتور أحمد عمران الزاوي:

قد تتفق معه بالكثير، وقد تختلف معه بالقليل، ولكن لا بد لك من أن تنحني احتراماً، لهذا الجهد الرائع النبيل الصادق.

***

فليدم لك البقاء. وليدم منك العطاء.

أما الزبد فيذهب جفاء...

وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

والسلام عليكم.

■■■

شهادة

الأديب ميشال واكيم

سيداتي سادتي أنعمتم مساءً وأهلاً بكم

شاءت الأقدارُ أن لا تتحققَ أمنيتي في التحدثِ إلى أهالي طرطوس الأحباء، طرطوس البحار والفضاءاتِ، تلك الفضاءات التي ما أحوجنا في دنيا العرب الدخولِ إليها لنخرجَ من قوقعتنا وننفتحَ على الكونِ الرّحبِ فنخفف من هوى ذاتيتنا وأصولياتنا الدينيةِ والفكريةِ والاجتماعيّة والسياسيّة.

الدّكتور أحمد عمران ليس بحاجة إلى أن يُقدم للجمهور. ولست أدعي أنني كفءٌ لهذه المهمة، فكاتبنا شأنه شأنُ مؤلفاته، يشد المستمع دون وسيط بما يملكُ من أمانةٍ وانسجامٍ وعمقٍ وصدقٍ في كل أعماله وأطروحاته.

لقد وهب أحمد عمران خلاصة عمرهِ لموضوع البحث ورد الاعتبار إلى حضارتنا، حضارتنا العربية، التي طالما جهلها الغرب وأنكر فضلها.

ويأبى الدكتور عمران أن ينحصرَ عملهُ في الاختصاص في التأليف: إنه موسوعي بكل معنى الكلمة، تراه مثلاً في كتابه: (بؤس الحقيقة في أدب سلمان رشدي وصادق جلال العظم) هذا العنوان المعبر يذكرني بعنوان كتاب كارل ماركس بؤس الفلسفة رداً على كتاب ليبنذ فلسفة البؤس. أقول هذا الكتاب وكل ما ورد فيه يدلل على أن أحمد عمران فقيه من الطراز الأول، متبحر في علم الكلام والقرآن والسنة والحديث...

-أمّا كتابهُ (العلاقةُ الجدليةُ بين التاريخ والطقوس المسيحية فإنه عملٌ موفقٌ كدراسةٍ مقارنةٍ في الأديان، دلل كتابهُ على أنّهُ لاهوتيٌ مثلما شَهدناه فقيهاً

في الكتاب الأول.

–أما كتابهُ تشريحٌ في تاريخِ الصهيونية الذي يمكــن أن أوجــزه بالكتــاب الكافي والوافي إذا جازَ ليَ استخدام هذا المصطلح التراثي وهــو يؤكــد أيضــاً بدوره على أن الكاتبَ سياسيٌ بارعٌ.

مهما يكن من أمرٍ فإن الدكتور أحمد عمران مُغامرٌ مُسافرٌ جــاب القِفــارَ والبحارَ بحثاً عن الحقيقةِ، وحب الحقيقة في التاريخ الإنساني والنضال للوصول إليها دافع عن كبار العظماء من الأنبياء والقديســين والمصــلحين والمتمــردين الثوريين بدءاً من مسار تاكوس (ثورة الزنوج) والمســيحُ ومحمــدُ، ومــروراً بالقرامطة وغاسندي (عصر النهضة) وجبور داتو برونو إلــى الحــلاج ومــن السهراوردي إلى لينين وانتهاءً بكيفارة الذي يذكرنا بتجسيد الفــداء فــي ميتتــه البطوليةِ الرائعةِ.

أقول كل هؤلاء العمالقةِ بَنَوا لبنة لصنع تاريخٍ إنســانيٍ مُشــرقٍ. ولســتُ مُبالغاً إن قلت أن أحمد عمران قد ساهم بكل تواضعٍ في بناءِ لبنة على طريقتــه الخاصة.

–وأخيراً أيها الاخوة اسمحوا لي أنا الذي يحزُّ في نفسي ألاّ أتمتع بسعادتي حضور تكريم رجل أحببته دون أن أعرفهُ وبادلني هذا الحب وشرفني بدعوتــه لي بإلقاء كلمةٍ بهذه المناسبة الجليلةِ وقد حصل ذلك خلال عشــر دقــائقَ مــن مداخلة لي بعد المحاضرةِ الرائعةِ التي ألقاهــا أخيــراً فــي حمــص. إنَّ هــذه الكهاربِ النفسية التي يسميها لينبذ بالمُناداة قد نفذت إلــى قلبينــا مثــل البــرقِ وتبلورتْ وتجسدتْ في حبٍّ صادقٍ. رائعٌ أن يلتقي الإنســان بأخيــهِ الإنســان ورائعةٌ هي الحياةُ التي يغذيها الحب لأن الله هو الحــب الأعظــم فــي نهايــة المطاف.

–دكتور أحمد عمران أيها المفكرُ المبدعُ من علِ هذا المنبرِ الحرِّ– وهــذه رسالة لرؤساء جامعات القطر السوري– بأنّهُ لو كنتُ رئيس جامعةٍ لكَلفتُ لجنةً لدراسة مؤلفاتك القيمة لمنحك بعدها لقب دكتوراه فخرية لمساهمتك الرائعة فــي الأدبيات العربية في كثير من العلوم الإنسانية.

أيها الأخوة في هذا الزمن العاق حيث يتبارى من يسميهم جان بول سارتر بصغار المثقفين للحصول على دكتوراه ترافق حفلةُ مَنحها أضواء الفضــائيات

والديماكوجيات والنرجسيات، في هذا الزمن العاق حيث كل شيء تلــوثَ وفــي كل مكان الزرعُ والضرعُ والإنسان، أتساءَلُ بمرارة هل حكام العرب هم بصدد إلغاء المثقف المبدع بممارسة عقد النقص لقمعهم!؟.

وإذا استمرت الأمور على ما هي عليه فأنا لست متفــائلاً بثقافتنــا التــي توقفت عن العطاءِ منذُ عصورِ الانحطاطِ وما تزالُ... فما أحوجنا إلــى رجــالٍ ومفكرينَ من نوع الدكتور أحمد عمران وأدونيس وطيــب تيزينــي والجــابريً وغيرهم.

هنيئاً لأحمد عمران بما أعطانا... قال جبران خليل جبران: (تكريمُ الكاتب هو في أن تأخذَ منهُ لا أن تعطيه) لقد أعطيتنا الكثير يا أحمد عمــران وأخــذنا منك القليل، المعذرة لأن عيوب الناس عيوبُ زمانِهم وحكامهم، كما قال الشاعر (غوثى)، أيتها الأخوات أيّها الأخوة شكراً لتكريمكم الــدكتور أحمــد عمــران بحضوركم وسماعكم.

حمص ٢٠٠٣/٩/١٥

■■■

الكلمة التي ارتجلها المحتفى به
الدكتور المحامي
أحمد عمران الزاوي

أفرغت من شريط التسجيل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أقدم التحية الأولى إلى القائد المفدى والحزب القائد. فهما أجدر المواطنين. بالتقدُّيم والتكريم.

ثم:

أنثني بتواضع وتقدير إلى هذه المدينة المضياف. مدينة طرطوس. التي قدمت إليها منذ نصف قرن، خالي الوفاض، اقتصاداً وثقافة، وعلاقات عامة. فمنحتني من هذه الثلاثية الشيء الكثير. ووفرت لي جواً من الاستقرار، مكنني ــ في السنوات العشر الأخيرة ــ من أن أنتج وأطرح بين الجمهور ستة عشر كتاباً انساحت على مدى ثمانية آلاف صفحة.

ثم:

إلى اتحاد الكتاب العرب. الذي يرأسه الدكتور علي عقلة عرسان.

فارس الأدب هذا.

الذي جابت يراعته الشرق والغرب والشمال والجنوب

ليس من شأنه نكرة فتعرَّف أو مجهول فيعلم، لقد أرّخ نفسه بنفسه وبنى مجده الأدبي بريشته، يمثله في طرطوس رئيس اتحاد الكتاب الأديب المعروف

الأستاذ غسان ونُّوس.

وأنتم. أدباء وشعراء وخطباء. وحضوراً.

لقد طوقتموني، بفضل لزمني ما حييت.

وأغدقتم علي من عبارات الثناء، ما لا أستحق القليل منه.

لقد أحسست أنه فضفاض على شخصي الضئيل المتواضع.

وأنا ــ إذ طرحت نفسي باحثاً اجتماعياً. وأصدرت عدة كتب في مواضيع متنوعة فما أنا ــ في نظر نفسي ــ غير طفل يحبو على درب المعرفة.

صفر، أمام تلك العقول الاستثنائية التي سطعت في سماء المعارف مثلما تسطع الشموس على أن الثناء: حاجة محبَّبة. فيها حلاوة، ولها طلاوة. وقلَّ الزاهدون فيها.

فالرسول صلوات الله عليه ــ بما وهبه الخالق من كريم المزايا وعظيم السجايا، مدحه بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم...﴾

و﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك...﴾

وعنترة قال:

أثني عليَّ بما فعلتُ فإنني سمحٌ مخالطتي إذا لم أظلم

على أنني ــ وقد امتد زمن الندوة وأدرك الملل بعضكم ــ أختصر بثلاث:

الأولى: إزجاء المزيد من الشكر لاتحاد الكتاب، الذي نهج نهجاً غير مسبوق في تكريم الأحياء. فوردة واحدة تقدمها إلى الأديب في حياته، خير من الأكاليل العديدة التي تنشرها على قبره. وكلمة الثناء تسمعها أذناه خير من عشرات المراثي تلقى في أربعينه.

الثانية: وهي نصيحة مني لمن ينال حظ التكريم، ألا يطوف به طائف من غرور، فالتكريم ليس استغناءً بعلمه عن علوم الآخرين، بل هو تشجيع له، وحث على بذل المزيد.

الثالثة: نداءٌ أوجِّهه من على هذا المنبر الثقافي، إلى من تسببت بعض إصداراتي له بعض الارتباك أو الملل، راجياً من جميع حملة الأقلام، أن ينقدوا ما يجدونه منافياً للحقيقة العلمية أو التاريخية، فلهم مني تفويض

مشكور، في أن يصحِّحوا ما يرونه خطأً، ويفصلوا ما يجدونـــه مجمـــلاً. ويوضحوا ما يرونه غامضاً. ففي ذلك فائدة لي وللآخرين.

وإذ ذاك أكون مديناً له بالشكر وعرفان الجميل.

وليس أحسن، ختاماً، من قول فولتير: "قد اختلف معك في الرأي ولكننـــي مستعد إلى بذل دمي في سبيل حريتك بإبداء رأيك":

وفقكم الله جميعاً، ومتعكم بالسعادة والهناء.

■■■

منارة الفكر

يوسف معلا

ألقيت في المهرجان التكريمي الذي أقامه اتحاد الكتاب العرب للعلامة الأستاذ الجليل الدكتور أحمد عمران في المركز الثقافي العربي في طرطوس:

حفظت ودّك في قلبي ووجداني ... وصنت عهدك في سري وإعلاني

أنا المسافر في عمق الحنين، وقد ... كتبت فوق شغاف القلب عنواني

إني الوفي لأحبابي، فدربهم ... دربي، وإيمانهم بالحق إيماني

مشيت، والشوق ظلي والهوى نغمي ... وجئت أمزج ألحاني بريحاني

وجئت أعزف أشعاري على وترٍ ... حانٍ فأسكرت الأوتار أوزاني

يا صاحب الروضة الخضراء، نضّرها ... من مترف الوردِ ألوانٌ بألوان

أطوف بين خوابيها، فيسكرني ... عطرٌ، وأصحو على أزهار نيسان

يا للكؤوس، وما أشهى تسلسلها ... تدار ما بين سمّارٍ وندمان

ما كنت أعرف من طعمٍ على شفةٍ ... لولا انتشائي بكأسٍ دار في الحان

من كرم أحمد، ما زالت سلافتها ... دواء كل عليل القلب نشوان

إني أعوذ بكـــرم الحـــب مـــن فئـــةٍ لا تعرف الفرق بين الحان والخان
تسللت من جحور البغـــي، فانفلشـــت على تخوم الدّجى آيـــاتِ شـــيطان
ضاقت عليهم رحاب الأرض، فاختلقوا على الســـماء بتكـــذيبٍ وبهتـــانِ
حكايـــةٌ تلـــك، وامتـــدت روايتهـــا ملء الخرائب مـــن بـــوم لغربـــان
أتـــت علـــى الفكـــر آراءٌ مهجنـــةٌ وموّهوهـــا بتزويـــرٍ وبطـــلان
حتى طلعت من الإصباح، فانعكســـت كـــل الجهـــات منـــارات بشـــطآن
أقمت جسراً إلـــى إشـــراقةٍ نهضـــت علـــى دعـــائم إنجيـــلٍ وقـــرآن
كأنك الصـــبح قـــد لاحـــت بوارقـــه فما الليالي سوى مهـــزوم أوثـــان
لله وقفـــة عـــزٍ لـــيس يبرحهـــا زهو الشموس، تحدت كل طغيـــان
يراعـــك النـــور، لا حقـــد ولا كـــدر وليس عندكم في الحـــق وجهـــان
فالشـــمس صـــنع يراعـــات مدللـــةٍ ليهتـــدي بســـناها كـــل حيـــران
قرات في سفرك الوضـــاء ملحمتـــي رأيت أمسي، أرى أمـــال أوطـــاني
سمعت في ســـفركم أصـــوات مئذنـــةٍ يعيد رجع صـــداها ديـــر رهبـــان
أنت الحنيفـــي، لـــو ناديـــت فاطمـــة بنت الرسول، تجلت بنت عمـــران
فهـــل عرفـــت لمـــاذا أنـــت نافـــذتي وفكرك الثر واحـــاتي وأغصـــاني
وهل عرفت لمـــاذا أنـــت بوصـــلتي وحيث أوغلت في الإبحار تلقـــاني
منارة الفكـــر. خلينـــي علـــى مهـــلٍ أستوقف القلب بين الغار والبـــان
أنا الشراع الذي مـــا انفـــك تحملـــه إليـــك أمـــواج إخـــلاص وتحنـــان
أمام عيـــدك لـــم يحـــتج إلـــى قلـــم حب إليك، ولـــم يحـــتج لبرهـــان

آت إليــك مــع الإصــباح يحملنــي طيرٌ، جناحاه أشــواقي وألحــاني

آتٍ بكلــي، ببخــوري، بمجمرتــي أطوف بــين حنيفــي ونصــراني

هيــا أبــا منــذر لاق الوفــود فقــد غــص النــديُّ بأحبــاب وأخــدان

هات المزيد، فظمأى الفكر في لهــفٍ إلى المزيد، وهات اليــانع الــداني

■■■

تكريم نجم

الدكتور أمين أبوعبيد

عندما تبلغت الدعوة لتكريم: الباحث والكاتب والأديب والمؤلــف الأســتاذ الدكتور أحمد عمران الزاوي وللاشتراك... قلت: إنني لست بحاجة إلى دعــوة لتكريم هذا النجم.. أستاذنا الكبير والصديق الصدوق، أبو منذر، الذي ملأ أفقنــا من زواياه الثلاث:

ــ١ــ الزاوية المهنية ــ٢ــ الزاوية الأدبية ــ٣ــ الزاوية الاجتماعية...

وأقول وأنا أحمل في حرفي مشعل الشمس، أن محــاولتي التعبيــر عمّــا يجيش في خاطري تجاه هذا الإنسان المميز، تدخل في منطقةٍ وعــرةٍ، عســيرة العبور، لبلوغ كنه هذه الزوايا، لحيــاةٍ مليئــةٍ بالتحــدّي والإبــداع والكفــاح، والأعصاب القوية والرجولة، فصاحبها يحمل في صدره طموح شــابٍ بهرتــه أضواء القرن العشرين، وما زال ينفض عن أجفانه دياجير التأخر الطــوراني،

الوافد من الشمال، بركاب الغزاة العثمانيين، منذ قرابة خمسة قرون...

كما يحمل في صدره إيمان العباب التي ضمّت رفات أجداده، والتي لحمتها وسداها الشريعة السمحة، كما يحمل مناجم للإبداع الأدبي: لآلئ الألفاظ، وماسات الفكر، وجواهر الرؤية والرؤيا، إضافةً إلى كروم وارفةٍ من المحبة للإنسان، عملاً بقول النبي العظيم (ﷺ): الخلق عيال الله، وأحبهم إليه، أرأفهم بعياله...

حسبي أنني حاولت جاهداً أن أزن بميزان الموضوعية، وأتجنب استعمال المنطق العاطفي الانفعالي، تقديراً لأهميّة المناسبة، وخدمةً للحقيقة والحقّ، والابتعاد عن الهوى والغرض..

إنني وأنا أدخل حرم الزاوية الأولى، أرى من واجبي كصديق، والصّديق من صدق لا من صدّق أن أهمس له بالقول: إنّ أجيالنا ربما ستكون في حاجةٍ إلى إضاءةٍ موثقةٍ عن حياته، وعلى الأخص عن العقود الثلاثة التي سبقت انتسابه للمهنة، محامياً في نقابة اللاذقية، أي سيرته الذاتية، والتي لا نرى أحداً أولى من صاحبها بأن يسجلها كما هي بآلامها وآمالها، بعطائها وحرمانها، بمصاعبها ومتاعبها، وأبادر إلى القول هنا: إن دكتورنا الكبير قلّما تكلّم عن نفسه، لا مفاخراً ولا مدّعياً ولا مكابراً، وأقول: لنا عليه أن يبرز هذه السّيرة الذاتية إلى النور، إغناءً للقدوة المؤثّرة في تيار السّلوك الإنساني، ولا أذيع سراً إذا قلت: إن الأمم المتقدمة، درجت على تسليط الضوء الكاشف عن أدبائها، أحياءً وأمواتاً، سيراً وآثاراً، زماناً ومكاناً... وبالإجماع إنه عملٌ حضاريٌ بامتياز، كما أنني وأنا أتناول البحث في هذه الزاوية، حاملاً الموضوعيّة ومسؤوليتها، أقرر حقائق أولى يعرفها الإنسان العادي في طرطوس. فهو عندما بدأ حياته محامياً في نقابة اللاّذقية..، كان مكتبه في مدينة طرطوس، استئجاراً في حيّ الصالحية.. مكتباً وسكناً.. وكان لمقدرته وصدقه واستقامته... الأثر الكبير في أن تتحول الأنظار إليه: رجال أعمال، تجار، ملاك، مؤسسات.... وأن يشار إليه في المجالس الخاصة، على أنه محامٍ قدير... وكان ثمرة جهوده نواة نجاحٍ مادي خلال العقدين السادس والسابع من القرن الماضي.. وما إن انفصلت جماعة محامي طرطوس عن النقابة في اللاذقية.. وكونت لها فرعاً خاصاً، حتى اختار المحامون بالأكثرية المحامي أحمد عمران رئيساً لفرع

طرطوس. ومن ثم فتحت له النقابة المركزية.. والاتحاد العام للمحامين العرب صدرها: فكان سفيراً دائماً تقريباً في كل المؤتمرات شرقاً وغرباً... خطيباً ومخططاً وداعية... فاتني أن أقول: إن المكرَّم الكريم خاض معركة الحياة: بذاكرةٍ قوية، وإرادةٍ صلبة، واستقامةٍ ظاهرة... حصيلتها مجتمعةً: مخزونٌ أدبيٌ وافرٌ من قديم التراث وحديثه، وكانت الثروة اللفظية زخارةً... برزت في كتاباته... وخطاباته... ومن الملفت للنظر استمراره على التكلم بداهةً وارتجالاً... واثقاً من اطلاعه، وسرعة خاطره، وأفكاره الغنية....

ففي حفل تكريم العلامة الدكتور أحمد عمران، من قبل مجلة الثقافة الدمشقية في ١٩٩٨/٣/١٨... قلت: إن صفة العلاّمة، ودرجة الدكتوراه، أصدرهما كلّ متلقٍ لكتبه قبل أن تصدرهما أيّة مؤسسة. وأقول بصدق: إننا نكرّم ثقافتنا وقيمنا قبل أن نكرّمه بالذات... وقلت: كما يسعدني أن أشير إلى كتبه ومؤلفاته التي صدرت عنه... ،هي ينابيع ثرّةٌ للتكلم عن قيمته الأدبية، تلك المجلدات التي تضم آلاف الصفحات، ذات الطباعة الأنيقة، والإخراج الجميل، ومن ماله الخاص...

وقلت بمناسبة تقريظٍ لكتاب// القرآن والمسيحية في الميزان// المنشور في مجلّة الثقافة عدد تموز ١٩٩١، ما نصه: //وكأن القدر شاء أن أضاعف إعجابي به، وعندما تجلى لي ذلك في سفره المهدى لي: فارساً من فرسان الكلمة لا يشق له غبار، وفي ميدان الدفاع عن الحقيقة وحبها: ميزاناً دقيقاً حساساً ولا موازين الصاغة، تجار الأحجار الكريمة، وفي نطاق البحث والنقاش والحوار: منجماً للفكر والدراية والدقة والتهذيب الرفيع...//.

إن هذا الينبوع الثر، الذي ما زال زخّاراً، رغم العثرة الصدرية التي منّ الله عليه بالشفاء منها. يرى العطاء شيمةً له، واستمراره كشكرٍ لله على عطائه، وقياماً بواجبه الأدبي والإنساني... إنني وأنا أختم تعليقي على هذه الزاوية الأدبية المشرقة أقول: مرحى للدكتور المكرّم المؤلف: للسلسلة الذهبية التي كُحِلَتْ حروفها بشذا هدي القرآن، وأَلْقَمَتِ المهاجمين الحاقدين حجارة... وإن شاء الله من سجيل...

وختاماً وأنا أطرق باب الزاوية الاجتماعية الثالثة، أقول: مثلما هو قامة شامخة في مجال العدالة والإبداع، هو أيضاً قامة سامقة في مجال العلاقات والمناسبات الاجتماعية، فما من مناسبة، وما من منبرٍ لمناسبةٍ على شواطئنا، شمالاً وجنوباً، إلا ويسلّط عليه الضوء، ليلقي ويشارك...، اعترافاً بوجوده

الفكري الغني...، ولعل من الأدلة الساطعة أن تهرع كبرى المجلات الأدبية في دمشق وأعرقها مجلة الثقافة فتتولى مسؤولية تكريمه في مدينته، وأن يبادر أكابر الكتاب والمفكرين في لبنان وسورية إلى تقريظ كتبه التي مررنا على ذكرها... وأن يتولّى اتحاد الكتاب العرب في دمشق تكريمه هذه المرة، وأن يقدّم له درع هذا الاتحاد تقديراً لمواهب المكرَّم وإنتاجه الفكري والأدبي الرائع...

إنه اجتماعيٌّ من الطراز الأول، أبٌ مثاليٌ وأمٌ مثالية..، أنشأ أسرةً نموذجيةً أخلاقاً وتعلماً ومركزاً...، أكبر الأولاد دكتورٌ في الهندسة، الأوسط خريجٌ من ألمانيا جرّاحاً ماهراً، والأصغر تسلم الراية من أبيه، وأعطى القوس باريها، لإدارة مكتب أبيه العريق، وتولى منصب أبيه النقابيّ الأوّل، رئيساً لفرع محامي طرطوس، وابنته موظفة وربّة بيت....

المعذرة لتقصيري في أداء واجبي الأدبي، تجاه صديقٍ عظيم....

مرحى للمكرَّم، ومرحى لأسرة المكرَّم، ومرحى لجمهورنا المكرِّم، ومرحى لاتحاد الكتاب العرب المكرِّم...

والسلام عليكم...

طرطوس

■■■

تشريح تاريخ الصهيونية
رسالة مفتوحة إلى العرب والعالم أيضاً

الدكتور معن صلاح الدين علي

-١-

لعل ما يسمى اليوم "التاريخ اليهودي" هو إحدى أكبر الكذبات وأكثرها تلفيقاً وخطورة في التاريخ البشري العام، ماضياً وحاضراً.. وإلى أمد نجهل امتداده في المستقبل.

أما كيف أعيدت صياغة هذا "التاريخ اليهودي" الملفق الغريب خلال ما سمي نهضة أوربا الحديثة، وكيف أسند ذلك "الدور الحضاري" المزوّر لليهود منذ ابتداء تلك النهضة، فذلك ما دعا رجلاً مثل موليير الشهير إلى السخرية – مبكراً– من ذلك التلاعب المعرفي المليء بالاختلاقات.

وما نود قوله هنا هو ببساطة: إن "التاريخ اليهودي" المتداول ليس أكثر من حصيلة للنمو البرجوازي والتطور الرأسمالي الإمبريالي في أوربا. وقد بني هذا "التاريخ" في صيغته تلك ليخدم مصالح متبادلة بين الرأسماليين اليهود و الرأسماليين الأوربيين حين كانت الشراهة الاستعمارية العفنة تتطلع إلى السيطرة على بقية العالم غير الأوربي، مبتدئةً بالوطن العربي الذي ما كان لتلك السيطرة أن تتحقق، ثم أن تستمر بأشكالها المتلاحقة، لولا وقوعه في براثنها، ولولا استمرار تكالب قوى العدوان الدولية على التشبث بمواقعها.

فيه باعتباره قلب العالم: سواء من جهة ثرواته الضخمة الهامة والمتميزة،

أو من حيث موقعه الاستراتيجي الفريد، أم من حيث عراقة تحضره الأصيل المتناقض في قيمه النبيلة وأهدافه الإنسانية مع نمط التحضر الرأسمالي الأوربي/ الأميركي الابتزازي.

وبالطبع ما كان لصناعة "تاريخ يهودي" مزوّر أن تكون ذات فائدة لولا العمل على "تشغيله"، وهكذا أنشئت الحركة الصهيونية مستندة إلى مفهومات ذلك التاريخ المزور التي اشتقت بدورها من مفهومات "توراة" موضوعة ومحرفة، و "تلمود" يفسرها بأسوأ الأفكار وأشدها عنجهية وشوفينية وعنصرية.. بل حتى أشدها افتئاتاً وكذباً على الخالق سبحانه.. ناهيك عن مخلوقاته!

وحين تمت صياغة الحركة الصهيونية ومبادئ عملها في القرن الماضي – أو لنقل:

تجديدها– على يد تيودور هرتزل، كان التوجه الإمبريالي "الصهيوني/ الأوربي" المشترك قد استقر على جعل "مجال الفاعلية" لهذه الحركة هو الوطن العربي بالاعتماد على عملية استيطان واسعة وبالغة الدموية والشراسة في فلسطين.

وبصرف النظر عن الامتداد السرطاني لهذه الحركة الصهيونية من جهة، وبصرف النظر عما أنجزته هذه الحركة من صهينة اليهود جميعاً– إلا قلة ممن رحم ربك من المفكرين بينهم– اعتماداً على التقاليد الأرثوذكسية اليهودية المليئة بالحقد على بقية البشر.

مثلما شرحها الكاتب "إسرائيل شاحاك" في كتابه الهام "الديانة اليهودية– التاريخ اليهودي، وطأة ٣٠٠٠ عام.. من جهة أخرى، نقول: بصرف النظر عن هذا وذاك فإن الصهيونية وتعبيرها السياسي المسمى (دولة إسرائيل) قد أخذت تعبث فساداً في الوطن العربي، توسعاً وتدميراً وابتزازاً وتهديداً بأسلحة الدمار الشامل وعلى رأسها الأسلحة النووية، مثلما راحت تعمل على نشر الفساد والنخر التخريبي في أوضاع الأقطار العربية، مستندة في ذلك كله على حلفائها الإمبرياليين في العالم– وخصوصاً: الولايات المتحدة – وعلى عملائها وعملاء حلفائها داخل الأقطار العربية حتى آل الحال بأمتنا إلى ما آلت إليه اليوم، وأوشك العرب على الركوع النهائي لولا اليد المنقذة يد القائد العربي العظيم، والمعلم الإنساني الملهم، المناضل الرئيس حافظ الأسد.. والذي –بفضل نهجه الحكيم، وبفضل بناء سورية العربية بناءً قومياً وحضارياً علمياً راسخاً–

لم يوقف مشروعات ركوع (المهرولين إلى الركوع والاستسلام من العرب وحسب)، بل هو أيضاً قد أحبط الخطط الاستسلامية واتفاقيات الإذعان مع (دولة إسرائيل) الصهيونية إحباطاً يجعل المتأمل المنصف في ما يحدث الآن يقول بلا تردد: إن تلك الخطط والاتفاقيات قد ماتت، أو إنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، لصالح أطروحاته النابعة من نهجه الحكيم ومن قواعد الشرعية الدولية، تلك الأطروحات التي لخصت في عبارات: (الأرض مقابل السلام) و (السلام العادل المنبثق من أسس مدريد) و (سلام الشجعان).. وغيرها، حيث يتحقق أمن العرب الذي تهدده "إسرائيل" تهديداً يومياً خطراً، وحيث تستعاد الأرض المحتلة بعد حرب عام "٦٧" فيتوقف التوسع الصهيوني في الأرض العربية، ويتوقف تدهور الأوضاع العربية، وتتوقف مشروعات الهيمنة الصهيونية على ما سمي (الشرق الأوسط) ونعت بالجديد!!.. إلى آخر ما لهذه الأطروحات والنهج السياسي الحكيم في التعامل مع المعطيات العربية والدولية الراهنة من إيجابيات مصيرية بالنسبة للأمة العربية ولمصالحها الحيوية، وبقائها، وأهدافها الاستراتيجية الحضارية الخلاقة والنبيلة، وهذا كله يفسر تفسيراً دقيقاً معنى العبارة التي أطلقتها السياسة العربية السورية مستندة إلى عبقرية نهج المعلم الأسد حيث سمت المرحلة الراهنة من الكفاح ضد الصهيونية باسم (معركة السلام).

-٢-

بعد هذا كله، واستناداً إلى ما هو معروف من "الحلم الصهيوني التلمودي" بإمبراطورية عالمية يسود فيها (اليهود!) وتدان بقية الأمم، فإن الصهيونية -في ضوء التغيرات العاصفة للعالم الراهن وفي ضوء تاريخها ذاته -إنما تشكل خطراً حقيقياً ليس على العرب وحدهم بل على البشرية بأسرها. وعلى كل شعب أن يقدم مساهمته الخيرة في إنقاذ الحضارة من الأوهام العنصرية الشوفينية لهذه الحركة ذات المفهومات المستندة إلى عقلية خرافية تكذب على الخالق كما على البشر، وقد وضعت بتصرفها منتجات العلم الغربي كافة: النظرية منها والتطبيقية التكنولوجية.

وتأسيساً على ذلك فإن المرء لا يمكنه إلا أن يتوقف وقفة إشادة بكل ما يكشف عن حقيقة الحركة الصهيونية، وخطورتها، وطبيعتها العدوانية العنصرية، انطلاقاً من تاريخها ومن ممارساتها القديمة والراهنة.

وكتاب الباحث الدكتور أحمد عمران (تشريح تاريخ الصهيونية) هو واحد

من الكتب الهامة في هذا الباب، وهو موجه كرسالة مفتوحة إلى العرب كافةً، فهو بالتالي موجه إلى العالم كله ضمناً، فالمعرفة، في نظر الدكتور الباحث أحمد عمران، هي قضية عالمية ضرورية لإنشاء عالم الحق والخير والمثل الإنسانية العليا.. وهي بالتالي نقيض مباشر للمفهومات الصهيونية وممارستها.

يجدها القارئ في خاتمة هذا المؤلّف –وهي، كل منها في ميدانه، لا تقل أهمية أو إخلاصاً للحقيقة عن هذا السفر الذي نطالعه هنا.

يأتي هذا الكتاب ليقدم مؤلفه للقارئ دراسة موثقه ومستفيضة حول اليهودية والصهيونية، متنقلاً به من البدايات.

حيث تم (تحريف الكَلِم عن مواضعه) إلى ما هو قائم في الراهن، وما بينهما من حلقات تاريخية متسلسلة داخلاً به –أي بالقارئ– إلى جوهر السيكولوجية الحربائية البراغماتية الشرانية لليهودي المقود بسلطة أحباره العنصريين، ونفعيتهم البغيضة، وحقدهم الدنيء على الخلق رغم تذللهم وإذلال أنفسهم أمام كل ما يجدون فيه مصلحة دنيوية لهم حتى لو كانت على حساب عوامّ اليهود أنفسهم.

وإذا شئنا بعض التفصيل السريع في توجهات بحث الدكتور عمران في هذا الكتاب فإننا نثبت ما يلي:

–كشف طرق التزوير التي سار عليها اليهود ابتداء بتزوير فكرة العدل الإلهي ذاته، ناهيك عن تزوير ما جاء به الأنبياء وتحريفه بروح عنصرية شوفينية مقيتة.

–كشف تاريخ احتواء اليهودية لقطاعات واسعة من المسيحيين والمسيحية مع تبيان الأسباب والموجبات المتعلقة بذلك الاحتواء.

–كشف تاريخ الصهيونية واتساع انشباك علاقاتها في البناء الرأسمالي الغربي، حتى توصل الصهاينة أخيراً إلى السيطرة على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة التي باتت اليوم تبدو للباحث المتتبع على أنها المتحكم الأقوى في العلاقات الدولية حيث تعاد صياغة مصائر الشعوب ويجري التلاعب الفظ بأقدار الأمم. –ولقد سبقت هذه المرحلة مراحل من التغلغل في مراكز صنع القرار الأوربي الذي كان يدير العالم، في القرن الماضي على وجه الخصوص، فدعموا طغاة الرأسمالية والاستعمار ضد مختلف الشعوب، الأمر الذي جعل قطاعات واسعة من تلك الشعوب الأوربية تكن أشد الكره لليهود بسبب

سلوكيّاتهم الشاذة تلك.

-كشف الترابط بين فعالية الحركة الصهيونية المتداخلة مع حركة الرأسمال والاستعمار العالميين وبين المنظمات الظلامية من "ماسونية" و"نوادي الروتارين".. ،ما يتبعها، كما كشف الدور اليهودي في قيام "البروتستانتية" و"شهود يهوه"، ودور الصهيونية في إنشاء الحركات "البابية" و "البهائية" و"القاديانية" وسواها.

وهي في هذا كله تتبع ما أقره حاخاماتها في بروتوكولاتهم المشهورة: (بروتوكولات حكماء صهيون) هذه البروتوكولات مشكوك في نسبتها التاريخية لليهود وغير موثقة.

-حلل بتوسع- واستناداً إلى قواعد القانون الدولي- طبيعة وفحوى الاتفاقيات والمعاهدات التي صيغت حول (قضية فلسطين): من قرار التقسيم إلى كامب ديفيد، واتفاقية أوسلو أو "غزة وأريحا أولاً"، ثم اتفاقية وادي العربة مع الأردن.. وبين كيف أن تلك الاتفاقيات والمعاهدات صبت جميعاً- في نهاية الأمر- في مصلحة الصهاينة ومشروعاتهم الاستيطانية والتوسعية.

يطول بنا الحديث إن أردنا إيفاء هذا الكتاب الهام بعض حقه، ولعل خير ما يمكن قوله للقارئ هو أن يقرأ الكتاب متمعناً في منطوقاته ودلالاته ليتزود بزاد غني كبير حول موضوعه الذي يهمنا جميعاً، وبصورة مصيرية.

وإذا كان لا بد لنا من كلمة أخيرة، فإننا نقر بأن من حق الباحث الدكتور أحمد عمران الزاوي علينا أن نعترف له بالفضل في ما قدم، وأن نسجل له شكرنا العميق على ما أنجز، وأن ننحني باحترام لسعة إطلاعه، وقوة مقدرته البحثية، وإخلاصه للحقيقة ودفاعه عنها، ولعواطفه ومواقفه النبيلة تجاه أمته والإنسانية، ولدأبه في إبراز ديموقراطية الحوار المعرفي الراقي من موقع التمكن والإخلاص لكل ما فيه إغناء الوعي القومي العربي بثقافة رفيعة حرة مشيدة على القيم العربية والإنسانية التي تستهدف تحقيق المثل العليا في روح الأفراد والجماعات... مستهدياً في ذلك كله بالمقولة الخالدة للمعلم العظيم الملهم، الرئيس القائد حافظ الأسد إذ قال:

(الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية)

تحية للدكتور الباحث أحمد عمران الزاوي من القلب، مع التمنيات الحارة بمزيد من العطاءات الثقافية المميَّزة الخلاقة.

دمشق – تشرين الأول ١٩٩٧

■■■

((كلاَّ لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه))
((الموسوعة البحثية للمفكر الباحث
الدكتور أحمد عمران الزاوي))

بقلم الأديب: يوسف مصطفى

أنْ تذهب إلى طرطوس، وتعرج على حي الحمرات، أو بعض نواحيه، معنى ذلك أنَّك ستمرُّ إذا كنت طالب "حوار" و"جلسة معرفةٍ" إلى منزل الدكتور أحمد عمران،.. كان يجلس صباحاً على شرفة منزله، يحتسي متةَ الصباح بكأسها الأبيض المعدني، يرنو إلى الأفق البعيد،.. وإلى المدى اللازوردي في بحرنا المتوسط،.. يستحضر أوغاريت.. وسفن فينيقيا سائرة إلى بلاد الغرب، .. تحمل إليهم حضارة هذا الشاطئ، وحضارة بلاد الشَّام، .. واثقٌ من نفسه سلسَ الحديث،.. حاضرُ الذاكرة التاريخية،.. غنيٌّ المعرفة ومتنوعها،.. ذوَّاق الكلمة والأدب والشعر،. مدافعٌ عن الأمة وتاريخها متفائلٌ بمستقبلها، رغم ما يبدو من رمادية حاضرها، مستند إلى إرثها الحضاري، وقدرتها على التجدد،.. حدثني: "أنَّ أمةً تخوض عدداً من الحروب في أقل من ربع قرن، وتبقى واقفةً وصامدةً رغم نوعية التحدي وحجمه، والذي هو بالمحصلة معركة مع الصهيونية العالمية، وأدواتها العالمية وعلى كل المستويات، .. هي أمة،.. قابلة للنهوض وإنْ كان أُفقُ هذا النهوض، هو في ذمة الزمن القادم وذمة مستلزمات النهوض وأدواتها".

كتب في العقد الأخير "التسعينات" عدداً هاماً من الكتب زادت عن العشر مؤلفات، في قضايا فكرية وتاريخية وتراثية منها: "نضال المرأة في مواجهة

التحدي" ــ "كتاب مفتوح إلى المواطن العربي" ــ "كلا لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه".. وهو المُؤلَف الذي نحن بصدده.

يقع الكتاب في ست مئة وستة وأربعين صفحة من القطع المتوسط بإخراجٍ جيدٍ وطباعة جيدةٍ،.. أهدي الكتاب إلى القائد الأمل الدكتور بشار الأسد،.. قدم للكتاب عدد من الأدباء والمفكرين. مهَّد الكاتب في المقدمة لإثارات دواعي التأليف، وأولها كتاب "خروج العرب من التاريخ" للدكتور فوزي منصور،.. وثانيها عبارة نسبت للأديب الراحل سعد الله ونوس "أخشى أنْ يخرج العرب من التاريخ" أمَّا الدافع الأساسي لتأليف الكتاب فهو انشغال المؤلف وفق موقعه المعرفي، وانتمائه القومي والوطني،.. انشغاله بهموم الأمة ومصيرها، وإيمانه أنَّ واجب مفكري العرب وأدبائهم،.. أنْ يدرسوا حال الأمة ويشخصوه، برؤيةٍ عقلية. موضوعية، غير متأثرةٍ بنزعة يأسٍ أو إحباطٍ، وغير مسكونة بفكر المركزية الغربية وتأثيراتها،.. أنْ يكونوا طليعة من ينير درب نهوضها،.. مشكلين النسق المعرفي التنويري النهضوي،.. المكافح المؤمن بماضي الأمة ومستقبلها، مستوعبين حجم المواجهة وأشكالها،.. مع تحدياتِ العدو الإسرائيلي وتحديات الحضارة القائمة، فالمؤلف يرى: أنَّ الوجود القومي مستهدف كله، وقد نصبح غرباء في أوطاننا،.. تاريخاً.. وجوداً.. تراثاً.. مستقبلاً، إنْ لم نكن بمستوى التحدي يقول: "إنَّ شواهد ما آل إليه العراق ــ والبوسنة ــ والهرسك ــ وكوسوفو ــ وما آلت إليه فلسطين ومناطق أخرى، من قتل واغتصاب وحرق وخراب، وحروب هنا وهناك، هي مقدمة النظام العالمي الجديد نظام الهيمنة والإلغاء والعولمة سمته العدوان والوحشية".

يبدأ المؤلف كتابه بتعريف التاريخ ــ التراث ــ الأساطير ــ حيث يقول: "التراث من الإرث، الميراث هو ما يتركه الإنسان بعد موته من أموال وأعيان،.. والتراث هو ما يتركه الإنسان مفرداً أو جمعاً من التركة المعنوية المفاهيم/ الأفكار/ القيم/ منتقلةً إلى الأجيال الحاضرة من الأجيال الغابرة،.. والتراث مرتبط بالتوارث فهو من صنع الناس، صنعوه تلبيةً لحاجاتهم، وعلى مقاس ظروفهم، فتقديسه ضرر محض، ونفيه ضرر أيضاً، والانطلاق منه وتصور الجديد محمول على القديم".. فرَّق المؤلف بين الأسطورة والتراث في الأصل والانتماء، ففي حين نستطيع الدلالة على تواريخ التراث، لا نستطيع ذلك في الأسطورة،.. "فهي مجهولة الأصل وتاريخ الابتداء، ولا يمكن نسبتها لأحد فهي حصيلة تراكمات ثقافية وتجريبية مرت في حياة الأجيال المتعاقبة".

انتقل المؤلف في الفصل الثاني لمعنى الحضور في التاريخ ومعنى الخروج منه، مشيراً إلى أنَّ التاريخ الحضاري للأمم خط بياني صاعد،.. يصل القمة ويبدأ بالانحدار، وأنَّ كلَّ حضارةٍ تمر بالطفولة والشباب والكهولة،.. "وقد يطول الحضور التاريخي لأمة من الأمم،.. فيستمر نشاطها الفكري والسياسي والعسكري في التألق.. ليبدأ بعده عصر الانحدار فيما بعد، بعوامل ذاتية وموضوعية،.. لكنْ قد تظل الأمم رغم انهيارها السياسي،.. "مرجعاً حضارياً للأمم الصاعدة"، وبذلك تبقى في التاريخ ما بقيت مصدراً للعطاء. وفي تقديري أنَّ هذه الإشارة من المؤلف لمعنى الحضور التاريخي هي مسألة فلسفية هامة، وسياقُ تاريخي يمكن الوقوف عنده لتحديد معنى الحضور التاريخي، قياساً على ذلك "فإن المدنيات التي عرفها الشرق منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح، ظلت فاعلة" ومؤثرة حتى بعد سقوط هياكلها السياسية. حيث استمرت مرجعاً تقبس منه أمم الشرق الفتية، "ليس أمم الشرق الأدنى فقط بل اليونان أيضاً. بما احتوته من الأديان والطقوس، وفلسفة الحياة والموت، فوجدت فيه ما يروي عطشها إلى المعرفة، وشوقها إلى الاطلاع".

حاول المؤلف أنْ يفرق بين مفهوم الحضارة ومفهوم الحضور في التاريخ قال: "إنَّ الحضارة هي بعض الحضور في التاريخ، وقد تكون قاعدته الانتصار العسكري والغلبة لأمة ما،.. لكن هذا لا يلغي حضور أمم أخرى هي ليست بموقع الانتصار" ضرب المؤلف بعض الأمثلة:

ــ بعد موت الاسكندر، توقفت الزحوف العسكرية اليونانية لكن الفكر اليوناني ظل عشرات القرون، من أبرز المصادر الحضارية التي عرفها الإنسان.

ــ رغم غياب شعوب الشرق عن حركة الحياة منذ زمن بعيد، فهي قد سبقت حضارة اليونان بأكثر من ثلاثين قرناً،.. لقد أخذ اليونان علوم المصريين والسومريين والفينيقيين وسواهم من شعوب الشرق.

ــ على الرغم من انكفاء العرب عند أبواب روما، وخروجهم من الأندلس وصقلية، ظلت فلسفتهم وعلومهم سائدة في تلك المجتمعات عدة قرون.

يتابع المؤلف في الفصل الثالث "الحضور العربي المتواصل في التاريخ" وفيه يقدم عرضاً جغرافياً تاريخياً لمجمل واقع الشعوب التي سكنت المنطقة العربية، ولأشكال حضورها التاريخي الديني المعرفي العلمي الحضاري،.. أما

في الفصل الرابع "السبق الحضاري بشكل عام" وفيه يتحدث المؤلف عن "نهر الحضارة المتدفق، المُغَذَّي من روافد كثيرة، بعضها غزير طاغ على مياه النهر، وبعضها ضعيف التأثير في حصيلة النهر"،.. حاول المؤلف أن يقول: إنَّ الإسلام بما قدم من معارف وقيم وعلوم تلاقى في الكثير منها مع الحضارات القديمة.

استطرد الكاتب في الحديث عن التيارات السياسية وارتداؤها الكسوة الدينية وما حملته هذه التيارات من أفكار ورؤى، وفلسفات وأبحاث بين "الإسلام والإيمان، وبين الإسلام والإحسان، وبين الطاعة والمعرفة، وبين الأصول والفروع"، وما وضعوه من تفاسير وشروح،.. أغنت المدارس الفكرية، وأقامت نوعاً من الحوار الفلسفي الديني، وبالمحصلة المعرفي،.. أما في الفصل الثامن بعنوان "العلوم الأخرى" والفصل التاسع "عصر الترجمة"، ففيهما ما قدمه العرب في مجال الفقه والجغرافيا وما ترجموه من معارف الآخرين. يعرِّج في الفصل العاشر "كيف دخلت العلوم الأجنبية" وأسباب دخولها وفي الفصلين التاليين يمر على مفكري القرن الثاني المتصوفة، وتطور الفكر والفلسفة بعد عصر التصوف،.. وهذا الفصل يتجاوز المئة صفحة وفيه عرض لأهم فلاسفة القرن الثالث: الخوارزمي ــ الحلاَّج ــ الرازي ــ الكندي ــ الفارابي ــ ثم فلاسفة القرن الرابع: ابن الهيثم ــ البيروني ــ المعري ــ ابن سينا ــ إخوان الصفا ــ ابن حزم ــ ابن طفيل ــ ابن رشد ــ ابن عربي ــ كما يشير إلى مؤلفاتهم وإسهامهم الحضاري والمعرفي. يتحدث المؤلف كيف تعامل العرب مع الثقافات القائمة وكيف تأثر الغرب بالعرب، في المجالات المختلفة.

في عنوان "استذكار الأمس واستحضار الغد" يقول المؤلف: أنَّ استحضار الأمس أردناه استحضاراً معرفياً استنهاضياً، وإثارة ذاكرة وأمل،.. لأجيالنا دعوة لقراءة الماضي ورسم ملامح المستقبل، وسباق الحضارة قائم وقد تأخرت يقظتنا، وعلينا المراجعة السريعة لمسيرتنا كأمة،.. ففيها الكثير مما يحتاج المراجعة وقد تأخرت مراجعته،.. وفينا الكثير من الأمراض والعلل التي تحتاج العلاج، والكثير من المعيقات التي يجب تجاوزها،.. وبديناميكية فاعلة إنه خيار النهوض المطلوب وعلى كل مستويات العمل الوطني والقومي. في عنوان "الحضارة العربية وأوروبا" يقدم المؤلف عرضاً مقارناً لفروق التعامل بين الحضارة العربية وسواها في زمنها، وبين الحضارة الغربية وما آلت إليه في تعاطيها مع الآخرين من قهر وسلب وحروب، يختتم المؤلف كتابه بالحديث عن

العولمة ومخاطرها وسبل تلافي ما يمكن من تأثيراتها.

امتاز هذا الكتاب بغناه وموسوعيته، وذكرني في عروضه واستطراداته وتعريفاته اللغوية، وعودته للأصول في بعض القضايا، بنماذج التأليف الموسوعي القديم وشكل الإفاضة فيه للمادة الواحدة،.. أراد المؤلف أن يستحضر كل المقومات التي تؤكد الفعل الحضاري العربي على مرِّ العصور، وتأثير هذا الفعل بمجمل الحضارة العالمية، وأن أمة تملك هذا الإرث وهذا المستوى وهذه الإمكانيات،.. هي أمة قادرة على النهوض ولن تخرج من حلبة التاريخ الحضاري، وإن نأت عن هوامشه في فترة من الفترات.

إنَّ ما كتبه المؤلف هو سفر أملٍ لأجيالنا العربية،.. وهو دعوة لحث الهمة وقرع للأجراس فيما آلت إليه أوضاعنا، إنَّه تذكير وإثارة عزم ودفع لداعي الإحباط واليأس وأن "نكون محكومين بالأمل" ولكنه أمل العمل لا أمل أحلام اليقظة لتجاوز كل المعيقات بجرأة الموقف وعلمية القرار وسلامته، ودقة المراجعة وضبط مستويات الأداء المختلفة وتقديم الجديد.

فالمؤلف لا يقدم هنا رؤية لمشروعٍ نهضوي، لأنَّ ذلك في تقديرنا يحتاج لكتاب آخر يشخص مستوى الحاجات ويرتب الأولويات ويحدد مداخل الخلاص.

أمتعتني رحلة قراءة الكتاب، وأعادت إلى ذاكرتي الكثير، إنَّه خطابُ أملٍ لأجيال الشباب العربي ليربطوا حاضر الأمة بماضيها مستلهمين عبر التاريخ ربطاً معرفياً متمسكين بثوابت البناء الوطني والقومي، غير متغربين بما أفرزته وسائل الإعلام الغربية وبما يضخ من قشور ثقافات وعاداتٍ وأنماط سلوك استهلاكي وانحدار قيمي، يريد اقتلاع الهوية تمهيداً لعولمة المنطقة واستلابها ونزع كل أصيل من تراثها وثقافتها وفكرها وموروثها الحضاري،.. إنَّه جهد معرفي وتأليفي يستحق صاحبه كل تقدير.

الدريكيش ٢٠٠٠/١/١١

■■■

الباحث أحمد عمران الزاوي لـــ "تشرين":

حضورنا التاريخي تؤكده هويتنا الذاتية..
تجاوزات التفسير تغرق الفكر بالتضليل

حوار رغداء ماردیني

تبدأ رحلته الطويلة في ميدان القانون والمحاماة، يعكف الباحث أحمد عمران الزاوي في التأليف والدراسة مناقشة لقضايا فكرية ساخنة تغذِّ دورها في الساحة الثقافية، مستفيداً من دقة الحجة عنده وتفنيده للأفكار التي تمكن منها خلال دراسته للقانون ليمسك زمام المبادرة في الرد على ملفّات خصوم تبتعد عن الحقيقة والمنطق حيث قدم للمكتبة العربية ملفات حملت عناوين هامة: كتاب مفتوح إلى المواطن العربي، تشريح تاريخ "الصهيونية"، "القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان" العدل الإلهي والتناسخ" "ونضال المرأة في مواجهة التحدي" "الحقيقة الصعبة" أي رد من خلاله على مجمل أدوات التضليل التي باتت تشوّه ثوابت الدين الصحيح.. وتحدُّ من غزارة إنتاجه تلك، وعلى حقيقة ثقافته الفكرية والفلسفية والسياسية، التقته "تشرين" في مدينته طرطوس وسألته حول سرِّ كتبه (كلا لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا) أتعني الحضور في التاريخ أي جسده فيه..

قوة ذاتية

يقول الباحث أحمد عمران: في هذا الكتاب أثارني ما كتبه فوزي منصور في كتابه "خروج العرب من التاريخ"، وكلمة سعد الله ونوس: أخشى أن يكون

العرب قد خرجوا من التاريخ، السر الذي أعطى قرار خروج دون أمر، وحاولت أن أثبت في هذا الكتاب أن العرب لم يخرجوا من التاريخ، هذه المنطقة هي مهد الحضارات وليست ملتقى الحضارات كما يريد الغرب أن يسميها، وتعرضت في هذا الكتاب إلى تعريف الحضارة على أنها عمق إنساني يتلقى الروافد من أية جهة، تحضُّ الروافد التي تنقطع عن النهر لتضلَّ طريقها في التراب لا تمتلك نبعاً قوياً أما الروافد التي تمتلك ينابيع قويةٍ وإن تراكمت جلاميد التراب والحصى فإن قوتها الذاتية تمكنها من الحضور الحضاري والمشاركة مرة ثانيةً في سيرورة الحضارة..

العرب لا شك أنهم من النوع الثاني الذي يملك قوته الذاتية، وقدمت من خلال الدراسة والبحث أدلة حول العرب الأمة الواحدة وجدت منذ العصر الجليدي في محدد جغرافي واحد.. هذا المحدد حدوده من الجهات الأربع حدود طبيعية بحيث يصعب التسرب إليه أو الخروج منه، على هذا الأساس فإن الأقوام السومرية والأكادية والبابلية والآشورية.. الخ هم أمة واحدة لم تختلف إلا باختلاف الأجداد والأمكنة، ثم تحدثت عن أن السامية هي جزء من العربية وليست العربية جزءاً من السامية، بمعنى أن الأقوام العربية موجودة قبل سام..

الكوكبة ومواجهة الذات

× كيف تنظر إلى حوار الحضارات من المنطلق الفكري الحالي؟

ــ لا يمكن أن ننجو بأنفسنا نجاة كاملة مما يسمى بالعولمة، ولكن نستطيع أن نحافظ على استقلالنا الذاتي وأن لا ننفصل عن تاريخنا وشخصيتنا، مع العلم أن العولمة التي تمثل الحضارة الحديثة هي تطوير للعلمانية التي ظهرت قبل الثورة الفرنسية بفترة قصيرة. وللعالمية التي ظهرت مع الثورة الشيوعية ولكن العلمانية والعالمية تركت كلٌّ منهما هامشاً يتعلق بالتاريخ والجنس واللغة والأخلاق الخاصة بالأمم. جاءت هذه العولمة فألغت هذا الهامش نهائياً، واعتبرت العالم سوقاً استهلاكية واحدة، فأصبحت العولمة تعني الأمركة أو الكوكبة، فصرنا نعيش حياة الأزرار وليس حياة الفكر، ومن هنا أتت الخطورة على هوية الذات والتراث..

× أنت الباحث المخضرم في التراث العربي، كيف تقرأ التراث ضمن أسلوبك النقدي المعاصر؟

ــ لا يمكن أن نتخلص من العولمة ونتائجها لأنها المسيطرة على العالم.

لكن بالوقت نفسه يجب أن لا نتخلى عن الماضي لأن قراءة الماضي يجب أن تكون دون إفراط أو تفريط..

الإفراط في عبادة الماضي يجعلنا نعيش في عصر غير عصرنا.

والتفريط يجعلنا نعيش دون جذور، وبالتالي عرضة لأي رياح قادمة، وهذا لا يجعلنا نقف أمام تيارات العولمة، لذلك إذا استذكرنا أننا كنا مصابيح الحضارة مدة ثمانية قرون، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش في الظلام عشرة قرون بدأت بسقوط روما ٤٧٦م وانتهت باكتشاف أمريكا ١٤٩٢، في هذه الفترة عندما كان الإمبراطور الغربي يتعلم الكتابة على ألواح من الشمع وقد تجاوز سنه السبعين، كان البلاط العباسي والأموي في الأندلس يعج بالعلماء من كافة الاختصاصات (فلك، رياضيات، فلسفة) وكلنا يعرف قصة الساعة التي أهداها الرشيد إلى شارلمان. يجب أن لا ننسى أن كل الحضارة الحالية حضارة مادية لا يوجد لديهم حضارة إنسانية، لا ننسى أن مؤلفات ابن سينا والرازي وجابر بن حيان كانت تدّرس في جامعات الغرب في منتصف هذا القرن..

إذا استذكرنا هذه الأمور نجد الدافع، ولذلك لا يمكن مقارنتنا بالأمم التي انتهت، نحن لدينا الإمكانية للرجوع إلى قيادة العالم، كما أوروبا لم تمنعها عشرة قرون ظلام من قيادة العالم الآن..

أدب الحوار

× تهتم بعلم اللاهوت بشكل يظهر أثره في مؤلفاتك، إلى ماذا ترمي كرجل قانون في الرد على تفسير ما جاء من قبل بعض مفسري القرآن الذين غزت كتبهم الساحة الثقافية؟

ــ رددت ردوداً علمية، حافظت فيها على حدود أساسية فيما يتعلق بأدب الحوار، وقد وجدت لديهم خطأ في التاريخ والجغرافية والكتب المقدسة، وهذا الخطأ من حق من يعرفه أن ينبه الناس عليه وأقول بالنسبة لقراءة الكتاب المقدس أنهم عندما يقرؤون القرآن يستشهدون بآياته عليهم ــ على أقل تقدير علمي ــ التقيد بالأمور التالية: أن يلموا إلماماً كاملاً باللغة العربية، لأن القرآن نزل بأسمى سورها.. وأن يقرأوا الآيات بكاملها ولا يقطعونها عن سابقها ولاحقها، لأن عدم التقيد بذلك يضلل الناس، وأنا أشك في أنهم هم أنفسهم ضالون ومضللون.. (والأمثلة لدي من كتبهم كثيرة).

حقيقة صعبة

× لا بد من التنويه بأن العالم العربي يواجه حملة إعلامية كبيرة اتخذت من الإسلام دريئة كي تهاجم الأمة العربية من خلاله وقد بدأت كما هو ثابت عام ١٩٧٩ بكتابات صادرة تحت مجموعتين: الأولى مجموعة الحقيقة الصعبة، وهي مؤلفة من اسم قد يكون وهمياً يدعى أبو موسى الحريري وهي تتألف من ثلاثة عشر كتاباً، والشي الملاحظ في هذه المجموعة أنها لم تذكر اسم الدار الناشرة، الأمر الذي يقطع بأنها موضوعة من قبل جهات مشبوهة. أما المجموعة الثانية: فهي مجموعة الحوار التي وضع من خلال أربعة عشر كتاباً تتعارض مع حقائق التاريخ والحقائق العلمية منها "قس ونبي" و"القرآن دعوة نصرانية" و"عربي هو".. الخ

أعتقد أن جميع هذه الكتابات تهدف إلى غاية لم تعد خافية على أحد وهي تهديم المشاعر القومية قدر الإمكان والاستخفاف بأعظم كتاب موجود باللغة العربية (القرآن) وإلى كل الموجات الحديثة التي دخلت هذه البلاد تحت اسم الحداثة من مذاهب تفكيكية.. وأدبية.. إلخ، مع العلم أن الحداثة مطلوبة في كل أثر فكري أو أدبي وهي ضد تكرار الماضي من حيث الجوهر، لذلك لا يجوز أن تحتكرها أية جهة بل هي واجب على كل مفكر أو أديب أن يتمتع أثره بالحديث المفيد للمجتمع والناس..

× اعتبرت كتاب الدكتور شحرور مدخلاً في تفكيك القرآن، من أي منظر تابعت وأجبت على كتاب بكتاب؟

ــ الدكتور شحرور في كتابه "القراءة المعاصرة للقرآن" فرق تفريقاً شديداً بين القرآن والكتاب والفرقان، وجعل لكل منهم فضاء فكرياً وتشريعياً خاصاً به، معتمداً على ذلك على مقولة عدم وجود ترادف في اللغة العربية وأي لغة من اللغات. إذ قال بالحرف الواحد: القول بالترادف في أي لغة هو خطأ ومضيعة للوقت، مع العلم أن اللغة العربية حفلت بكثير من الترادف المعنوي واللفظي.. فالترادف المعنوي هو تعدد المعاني على لفظ واحد والترادف اللفظي هو تعدد الألفاظ على معنى واحد، ودليلنا على ذلك من القرآن والشعر الجاهلي..

ومن هنا، فإن جميع ما قمت به إنما هو عودة إلى قواعد العربية وأسرارها كي أبين أن الأساس الذي قام عليه كتاب القراءة المعاصرة هو أساس خاطئ..

× للمنطق القانوني أثره في تفنيد آراء خصومك في الرأي، كيف تنظر إلى هذا؟

ــ نحن المحامين عودتنا مهنتنا على المنطق، لأننا عندما نبتعد عنه نخسر أي دعوى نترافع بها وعلمتنا المهنة، أنه بالرد على خصومنا، يجب أن نرد على كل نقطة من مرافعة الخصم، وكل نقطة لا نرد عليها نعتبر موافقين عليها.. إذاً منطق الأمور هو الذي يُسّير فكري ويربطه بالرابطة الأقوى للحقيقة: المنطق..

× آخر مشروع كتابي؟

ــ لدي مشروع كتاب قيد الدراسة "الكتابات الملعونة" وأقصد بها الرد على الكتب التي صدرت عن: شمعون بيريز، نتنياهو، موشي دايان، غولدا مائير.. الخ فحواه مناقشة الفكر الصهيوني المتغطرس العنصري ودحضه بفكر إنساني.

■■■

أحمد عمران الزاوي
مكرماً في ثقافي طرطوس

علي نفنوف

برعاية الرفيق إبراهيم إسماعيل أمين فرع الحزب بطرطوس أقيمت في فرع طرطوس لاتحاد الكتّاب العرب ندوة تكريمية للباحث د. أحمد عمران الزاوي بحضور كوكبة من رجال الفكر والأدب وجمهور من المهتمين والإعلاميين وذوي المحتفى به وذلك في قاعة المركز الثقافي القديم.

وقائع

اليوم نقف أمام قامة فكرية لها ألقها الخاص وهندامها الجميل وإمارتها المميزة.. بهذه الكلمات اللطيفة افتتح الشاعر يوسف معلا الندوة التي تناوب فيها المتحدثون بالحديث عن مساهمات المحتفى به "الفكرية والاجتماعية والسياسية والقانونية" وجاءت كالآتي:

ـ كلمة اتحاد الكتاب: للأديب غسان كامل ونوس

إنّ للمسير حاجةً للمثابرة.. هكذا ابتدأ.. ومرَّ على معاني التكريم الذي وصفه بأنه قدرٌ من الاعتراف لا تخفى طيوبه.. مقدراً عالياً البحوث التي قدّمها المؤلف والتي أخذت من الوقت ما يستحق الاحترام والتقدير.

عرض لكتاب "كلاّ لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه".

تولى مهمة العرض الدكتور محمد الحاج صالح الذي تحدث عن موسوعية

عمران التي شبهها بالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني مستعرضاً تفاؤلية الكاتب التي جاءت رداً على الأفكار التشاؤمية.

مالك صقور:

قدّم شهادته من خلال خبرة نقدية... منوهاً برمزية ميزان العدل التي يوازيها في بحث الدكتور عمران الاعتدال ولهذا جاءت عناوينه مواكبة لكلمة الميزان "الحقيقة الصعبة في الميزان ــ المسيحية والإسلام في الميزان ــ إلخ". إضافة إلى عمق الأبحاث التي قدّمها والمنسجمة مع جمال الحقيقة وصعوبتها.

الشاعرة لينا حمدان:

عرض كتاب "نضال المرأة في مواجهة التحدي".

ابتعدت هذه المرّة عن الشاعرية وغاصت في عمق الأفكار التي يقدمها في كتابه "نضال المرأة في مواجهة التحدي". واستعرضت ظروف المرأة عبر التشريعات ابتداءً من قبل الميلاد وحتى يومنا هذا مقدرةً عالياً الجهد المبذول والوقت النازف لإنجاز كتاب كهذا.

ميشال واكيم:

جاءت هذه الشهادة لتتحدث عن فلسفية أعمال الزاوي وموسوعيتها واعتمادها المنهج العلمي يقول: مهما يكن من أمر فإن الباحث مغامرٌ مسافرٌ جاب القفار والبحار بحثاً عن الحقيقة وحب الحقيقة.

يوسف مصطفى:

عرض كتاب "كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء". تحدث في عرضه عن موضوعية البحث في الفكر المعادي المتعامي على الحقائق ابتداء من الماسونية الأب الشرعي للصهيونية مضيفاً أن بحثه هذا موجه إلى الحاكم العربي قبل المواطن العربي. ليصل إلى جملة استنتاجات أهمها: علمية البحث ومنطقيته وعمقه.. إضافة إلى المثابرة والجهد ومنوهاً بتمرس المؤلف في كتاباته فهو لا يحتاج إلى مراجعة ما يكتب.

أحمد حاج فتوح:

تحدث عن محورين: الأول ــ موضوعية أبحاث عمران التي تنصف الآخر قبل الأنا.. أما الثاني فكان ردوده على المزاعم الغربية ووصول كلمته الحقة لمن يهمهم الأمر في تسامي ونزاهة حضارتنا.

يحيى خضور:

عرض لكتاب "بؤس الحقيقة". أسهب الأديب خضور في شـــرحٍ وعـــرض كتاب "بؤس الحقيقة" الذي جاء رداً على كتاب "آيات شيطانية" متحدثاً عن نزاهة الباحث في بحثه وتفنيده للمزاعم التي تبنتها مؤسسات صهيونية دعائيـــة هـــدفها التشويش على سامية الإسلام ونزاهته.

أخيراً

بعد أن شكر المحتفى به الحضور والخطباء والقائمين على حفـــل التكـــريم تسلّم درع اتحاد الكتّاب العرب الذي قلده إياه الأديب غسان كامل ونوس رئـــيس فرع اتحاد الكتّاب العرب في طرطوس.

جريدة الوحدة: ١٨/١١/٢٠٠٣ عدد ٥٦٧٦

■■■

كتابات من الجحيم
وعقائد معجونة بالدماء
)جديد أحمد عمران الزاوي(

جريدة تشرين

"كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء" بحث استقصائي في الفكر الصهيوني جديد الدكتور المحامي أحمد عمران الزاوي الصادر حديثاً بطبعته الأولى عن دار المجد بدمشق، والكتاب يكشف عن أكبر وأخطر سرطان استشرى في جسد الأمة العربية والإسلامية وقد بين د. علي عقلة عرسان في تقديمه للكتاب، أن صاحب الكتاب بذل جهداً استثنائياً في البحث والتحليل ليقدم مادة إضافية عن موضوع يتداخل فيه الديني والسياسي والعقائدي والتاريخي ويمتد بعيداً في الزمن من أيام إبراهيم الخليل عليه السلام إلى الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين والجولان حيث أغنى المؤلف بعمله الجاد، المكتبة العربية بكتاب يحتاجه القارئ ويوفر عليه مشقة العودة إلى مصادر ومراجع هامة والتدقيق فيها بمنهج نقدي.

وقد أكد مؤلف الكتاب على قول عرسان أن الحركة الصهيونية حركة إرهابية هدامة بكل المعاني والمقاييس.. وتاريخها وممارساتها تؤكد ذلك.. وهي لا يمكن أن تغير من طبيعتها العنصرية التي ثبتها قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ الذي اغتالته الولايات المتحدة الأميركية بعد اتفاق أوسلو، حيث نص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية.. وكل ما نبت على ضفافها أو

استنبتته من تنظيمات وإيديولوجيات وتيارات فكرية ومذاهب فنية وأدبية جاءت نقمة على الشعوب والعقائد والثقافات.

يقع الكتاب بستمائة صفحة من القطع الوسط، وقد قدم له إضافة لعلي عقلة عرسان كل من: الشيخ حسين شحادة، ومعن صلاح الدين علي، الأستاذ عبد الرحيم غنيم..

يذكر أن هذا المؤلف هو العاشر للباحث الدكتور أحمد عمران الزاوي.

أضواء على العولمة والحضارة (د. أحمد عمران الزاوي)

الكتاب صدر عن دار الفتاة بدمشق ومنذ توطئة الكتاب يبدو الأسلوب السهل الممتنع في تقديم المعلومة وفحصها الدقيق والخلاص إلى رأي يجمع بين الآراء كلها ففي البداية تحدث عن العولمة ماذا تعني ما هي الأسباب التي يتذرع بها أنصار العولمة وما هي الأسباب التي يتذرع بها المنددون والخائفون منها؟ كيف ينبغي أن يكون موقف العرب منها؟

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى بحث الأهداف الاقتصادية والسياسية للعولمة ومن ثم ينتقل إلى بحث هام جاء تحت عنوان: لماذا استقرت العولمة أخيراً على اسم الأمركة؟

وبعد ذلك يعقد فصلاً للبحث في القرابة الأيديولوجية بين نظرية العولمة وبين نظرية نهاية التاريخ أو الإنسان الأخير.

ويخلص في الكتاب إلى بحث نهائي حمل رؤية الباحث وحمل عنوان: تكامل الحضارات لا صدامها ولا صراعها ولا الجدل أو الحوار بينها وفي نهايته يقدم خطاباً مفتوحاً إلى الأجيال القادمة.

بقي أن نشير إلى أن الباحث أحمد عمران الزاوي أصدر مجموعة كتب هامة نذكر منها: كتاب مفتوح إلى المواطن العربي، نضال المرأة في مواجهة التحدي ــ كلا لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه ــ كتابات عن الجحيم وعقائد ملطخة بالدماء ــ العولمة والحضارة ــ وله تحت الطباعة كتاب: مناقشة التوراة في تكوين الكيان السياسي لليهود.

جريدة تشرين : ٢٠٠١/٧/١١

■■■

مع كتاب:
نضال المرأة في مواجهة التحدي
للدكتور المحامي أحمد عمران الزاوي

بقلم نجوى أحمد حسن

تحَوَّل الدكتور أحمد عمران الزاوي من محام لامع إلى أديب كبير كان نقطة عبور هامة في حياته الثقافية. ففي المحاماة حصل على شهرة واسعة في هذا الميدان. وعندما بدأ يكبت ويؤلف ظهرت ثقافته المتنوعة في كل الميادين سواء الدينية أو الأدبية أو الاجتماعية أو السياسية. وقد بدت تلك الثقافة واضحة وضوح الشمس في هذا الكم المميز من الكتب القيمة التي تعبر أبلغ تعبير عن سعة ثقافته وفهمه الدقيق لكل نواحي الحياة.

قرأت أغلب كتب الدكتور عمران وقد سررت جداً بقراءتها لكن كتابه الأخير (نضال المرأة في مواجهة التحدي) كان له أبلغ الأثر في نفسي. والذي دفعني للاعتراف بأن هذا الكتاب استحوذ على أفكاري. هو كوني من الجنس المنكود الحظ والمغلوب على أمره والذي لاقى ولا يزال يلاقي من الظلم الاجتماعي الشيء الكثير، وكل امرأة منا تعتبر كتاب الدكتور عمران كلمة حق في وجه خصومها.

ففي الكتاب شرح واف لتاريخ المرأة وتبيان لما وقع عليها من الظلم في كل العصور وهي بالمقابل تتحمل مستسلمة لإرادة المشرعين والكهنة الذين صاغوا هذه الشرائع وفقاً لإرادتهم ووفقاً لما يرضي أهواءهم ورغباتهم مما يسمح لهم

بالتسلط على المرأة والتحكم فيها معتمدون في ذلك على النصوص التي جاءت في الكتب السماوية والتي فسروها بناء على منظورهم الضعيف ومفاهيمهم المتحجرة.

لقد منعوها من التعليم وحرَّموا عليها الخروج من المنزل. بل فرضوا عليها التقوقع داخل شرنقتها وألزموها بهذا الكفن الدائم عليها منذ وجودها وحتى القبر كما عبر الدكتور عمران. ومما يؤسف له أننا الآن في عصر ازدهار حضارة لم يسبق لها مثيل. ومع كل ما هو موجود من تقنيات وأدوات حضارية لازالت المرأة في بعض بلدان الشرق الأوسط خاضعة للتقاليد القديمة الموروثة التي تنحيها عن المشاركة في الحياة مشاركة فعالة تشعرها بوجودها كإنسان مكمل في هذا المجتمع. ولازال البعض منهم يعترفن بالنظرة الدونية لهن.والبعض الآخر الذي يطالب بحقه يلقى مقاومة ليس من الرجل وإنما من بنات حسنهن.

لقد تابعت مع الدكتور عمران دفاعه عن حق المرأة وصراحته في مواجهة خصومها وأكبرت في دعوته للإصلاح الاجتماعي الذي يزيل الفروق بين الجنسين. وقد كان في معالجته لقضايا المرأة في موقع المنصف والعادل. وبما أن في الأصل كان محامياً بارعاً فقد جعل الميزان شعاره حتى في كتبه الأدبية. فكتاباته تدخل القناعة إلى وجدان كل قارئ حتى المعارضين يبقى معارضاً من باب المعارضة والبقاء في صف المتزمتين الذين لا يريدون التطور والانفتاح على الحضارات التي تعتبر المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات.

دفاع الدكتور عمران عن المرأة ومطالبته لها بحقها مبني على أساس متين فهو في كل جدل قائم حول حقوق المرأة سواء الحقوق الاجتماعية أو الإرثية أو المدنية يستند على ما جاء في القرآن الكريم من شرائع. وردوده على المشرعين ومفسري القرآن جاءت من القرآن الكريم نفسه بحسب فهمه لتلك الشرائع وقناعته بها.

لقد أجاد الدكتور عمران في التفسير وأجاد في التعبير ويُعتبر كتابه هذا مرجعاً مهماً لمن يريد الإطلاع على تاريخ المرأة منذ وجودها وحتى يومنا هذا.

لقد ضمَّ الدكتور عمران صوته إلى أصوات الذين سبقوه من الكتاب الذين تناولوا قضية المرأة بإنصاف ورفعوا أصواتهم مناصرين مدافعين عن حقوقها. وقد عبر الدكتور عمران بقلمه عن رأيه وآرائهم ونظرياتهم التي تدعو لإعطاء المرأة حقها. لكن هذه الأصوات تلقى دائماً من يعارضها ويقاومها ويعمل على إسكاتها بحجة أن ذلك دعوة إلى الانحلال الأخلاقي لأن المرأة بنظرهم كلها عورة.

لقد رد الدكتور عمران على خصوم المرأة من تاريخ المرأة التي تناولته

كتب التاريخ. وبيَّن أن لها صفحات مشرقة عبـرت عـن ذكائهـا وشـجاعتها ومرونتها في كل شؤون الحياة. وطالب بالتخلي عن النظرة التي تعتبر المـرأة مستودعاً لإنجاب الأطفال وتربيتهم والعناية بالبيت فقط. وتحرمها من المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والسياسية.

وقد بين الدكتور عمران أهليتها في تسـلم المراكـز والمناصـب بعـد أن سمحت لها الظروف بأنها كانت تضرب المثل في الدقة بعملها والصبر والتـأني على ما يطلب منها وكذلك آراءها السديدة في كثير من المجالات. وقد استشـهد بأمثلة كثيرة من التاريخ على رجاحة عقلها وذكائها.

عبر أيضاً عن أشعة من واقـع المعارضـين مـن المتـدينين والأدبـاء والمفكرين ورجال الدين الذين لا يزالون إلى اليوم يتناولون قضية المرأة بجـدل بيزنطي يتصل أوله بآخره كما قال. وقد ناقش الدكتور عمـران الحجـج التـي يتذرع بها خصوم المرأة من أنها لا تصلح إلا لأعمال البيت فقط فقال:

أساليبنا القديمة في الاقتصاد ترهلت وأدركتها شـيخوخة العمـر فأخلـت مواقعها للأساليب الحديثة بعد أن عجزت عن الصمود تجاهها سواء في طريـق الإنتاج أم في طريق الاستهلاك. إن مستوى المعيشة الذي يسير بخـط صـاعد. وتعدد وجهات الاستهلاك وتطوره في الغذاء والكساء والطيب والتعليم قام ويقوم على المزيد من النفقات.

ويتابع قوله: إن التعليم مثلاً لم يعد يكفي الطالب منه ما كان يكفيـه سـابقاً مقدار ضئيل من القراءة والكتابة ينجزه في وقت قصير بل صار ملزماً بقضـاء أكثر من ربع العمر في التحصيل العلمي متلقياً من أهله نفقات الحياة والدراسة طول هذه المدة.

ذلك جميعه ناء بكاهل الرجل فكان لابد من الاعتماد على المـرأة شـريك الحياة في سرائها وضرائها كذلك ضاعت أصوات المعارضة ضد اشتراكها في عمليات الاقتصاد وأصبح الشاب يتطلع متفحصاً ليجد شريكة حياته من اللـواتي حملن الشهادات التي تخولهن إجازة العمل والتوظيـف لتـأمين الكسـب الـذي يتضافر مع كسبه فيتحملان معاً مسؤولية بناء الأسرة وفقاً لطبيعة الزمن.

لقد كانت وجهة نظر الـدكتور عمـران صـائبة عنـدما قـال أن أصـوات المعارضة انخفضت تبعاً للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تتطلـب مسـاعدة المرأة لزوجها في تسيير أمور الحياة،.. ويعتبر الدكتور عمران أن ما يحمله علـى الدفاع عن حقوق المرأة لا ينحصر في الوضع الاجتماعي بل يمتـد إلـى الوضـع

العام العالمي الذي تحشد فيه جميع القوى والمواهب متضافرة لتحقيق الخير العام.

ويضيف: إن هذا الواقع يسوقنا سوقاً إلى الهدف المخبوء في جيب المستقبل. الهدف الذي إن جهلناه اليوم فلن نجهل أننا نحيا عصراً يقوم على الآلة وترتكز سياسته وقوانينه ونظمه على الاقتصاد وتختلط فيه الأيدي المؤنثة بالأيدي المذكرة ليشملها قانون واحد ويسيطر عليها نظام اجتماعي واحد يدفعها إلى الأمام بهدوء.

ويخلص الدكتور عمران إلى نتيجة تقول: بمثل هذه العقلية العملية يجب أن تحل قضية المرأة في بلادنا ويجب أن نتخلص من ترسبات الماضي.

وعن كفاءة المرأة في العمل قال: لقد تحدثت مراجع التاريخ دون تحييز عن كفاءة المرأة وجهادها وصبرها على أداء ما كان يلقى عليها من أعباء واجبات فقال:

لم تقاوم تشريعاً طلب منها تضحيات مهما كانت جليلة ولم تأنف أن تسرف في إنهاك قواها العضلية إذا كان ثمة واجب مقدس ينتظرها. وإنها في جميع العصور قامت بواجباتها كانت تستنزف منها قواها العضلية. ففي عمل الحقل وفي البيت وراء النول لم تكن تضن بعضلاتها وأعصابها وبجميع ما زرعته الطبيعة فيها من المواهب والقوى.

ففي الإدارة أعطت جماعة الراهبات أمثلة لاتُجارى في حسن إدارتهن للأديرة والمعابد والمستشفيات. كما كانت بيوت البر والإحسان التي كان يشرف عليها نساء متمرسات بالعمل الإداري نموذجاً فذاً للنجاح الإداري الذي حققته المرأة في القرون السالفة.

هذه نماذج من النظريات والآراء التي تقدم بها الدكتور عمران في كتابه القيم (نضال المرأة في مواجهة التحدي).

أثرى الله فكرك وسوَّغ قلمك يا دكتور أحمد عمران الزاوي. وأمدك بالعمر المديد مشفوعاً بالصحة والعافية.

وكما قال المثل رب ضارة نافعة. قد تكون الظروف الصحية التي حالت دون إكمال مسيرتك في المحاماة هي التي فجرت هذا الزخم الهائل من المؤلفات التي لا تستغني عنها مكتبات المثقفين وذوي الرؤية السليمة.

إني أقول هذا واعتذر عن المثل الذي أشرت إليه. إذ أنني أتمنى لك موفور الصحة ودوام السعادة لتكمل مشوارك مع الثقافة و الأدب الذي اختزنه فكرك

وعبرت عنه مؤلفاتك أبلغ التعبير.

كتاب "نضال المرأة في مواجهة التحدي"

لمؤلفه الدكتور أحمد عمران الزاوي

والنظرة الإنسانية من الركن القانوني والبحث التاريخي

عرض: علي نفنوف

إذا كان المؤلف بنظرته القانونية يحاول تنصيب المرأة في مواجهة التحدي وباعتبار الذكورة الطرف الوحيد في معركة التحدي هذه فإننا نقول له.. مبارك لها الفوز ومبارك لها صمودها هذا لا بل تفوقها على الرجل ويمكننا أن نعتبر أنها أقوى منه لسبب واحد مفاده أنها تحملت وصمدت... وواجهت وتحدت وهاهي اليوم تنال ما تشاء بينما الرجل لم يقدر على الحفاظ على درجات تفوقه الذكورية الذي منحها لنفسه بالاشتراك مع الطبيعة وفيزيولوجية المرأة وبدأت طموحاته بالتقهقر والتراجع أمام طموحاتها... لكن المؤلف قسم كتابه إلى ثمانية فصول.. وكان كل فصل فيه عبارة عن شاشة يعرض من خلالها أحوال المرأة ونظرة الخليقة إليها في كل عصر وفي كل حقبة وعند كل الشعوب والأديان.

ففي الفصل الأول: لقد حاول المؤلف أن يرد على بعض المفاهيم المغلوطة التي تنال من سلطة وسلطان المرأة ومن هذه المفاهيم التي ذكرها الكاتب بعضاً مما جاء في كتاب (المثقفون والأنثى في الحضارة) لمؤلفه مصطفى النهيري: ــ المرأة تملك أصول الشهوات وهي باب الدمار والخذلان ــ والمرأة هي الجحيم هي البلاء يصبّه الله على رؤوس العباد ــ هي الشقاء المعجل والكرب الذي يسبق الموت ــ المرأة في جميع أحوالها... مصدر فساد ولها مداخل إلى

الفتنة يعجز عنها إبليس.. هذا عن المرأة أما عن قيادة الرجل للمجتمع وتبعية المرأة له فكانت بعض المفاهيم منها: ــ جرثومة الرجل نشطة وجرثومة المرأة هادئة ــ الرجل مبتكر فعال والمرأة مقلدة لا تملك موهبة المبادرة والابتكار ــ يمتاز الرجل بالتفكير وتمتاز المرأة بالوجدان.

ــ لقد نزلت على العالم عشرة مكاييل من الكلام أخذت المرأة تسعة منها وأخذ الرجل واحد.

وبناء على ذلك ذكر المؤلف أن التلمود اعتبر شهادة الرجل تعادل مئة امرأة وأن جميع مكاسب المرأة وما يؤول إليها من أي مصدر هو من حقوق الرجل، وإذا أخذ الفصل الأول لنفسه هذا العنوان العريض (منذ البدء وحتى القرون الوسطى) إنما أخذه ليتحدث بشيء من التفصيل عن واقع المرأة والحكم وقانونها الخاص في ميزان العدل آنذاك ابتداءً من مصر القديمة إلى بابل وسومر وآشور وفي الصين واليابان وعند كل الشعوب والبلدان.

أما الفصل الثاني: فقد ضم بين طياته العديد من العناوين مبتدئاً فيها بالحديث عن المرأة في ظل الكنيسة وقد قسم النساء إلى ثلاثة (سيدة القصر ــ ربيبة الدير ــ امرأة تتعاطى السحر) أما سيدة القصر فكانت جسداً من عاج وقلب من الشهوات وحاميها فارس نبيل وراءه عشيقها الفدى... يجيد فنون الغزل تفرغ لإشباع رغباتها وراهبة الدير هي التي لم يكتب لها أن تكون سيدة القصر ولم تمنحها السماء من الجمال ما تكون موضوع اهتمام من فارس أو عشيق وانزوت إلى الأبد تحت السواد المديد.... حفاظاً على العفة والعذرية أغلب الأحيان، ولكن امرأة السحر المحكوم عليها بالموت حرقاً.. لم تكن لتتقرض في تلك الأيام فمثلاً (جان دارك) التي أنقذت فرنسا من استعمار الإنكليز وقادت جيوشاً وفتنت الناس بإيمانها الصوفي حوكمت وأحرقت لقولها (أن أصواتاً مجهولة أمرتها بالمسير وظلت تأمرها بالتقدم) على اعتبار أن الرجل على اتصال مع الله أما المرأة فهي على اتصال مع الشيطان وجاء في خلاصة الحكم (أن النيران كفيلة بأن تخمد جذوة شيطانها)، وفي هذا الفصل تحدث بإسهاب شديد عن المرأة في الجاهلية والجزيرة العربية موضعها الآثار المترتبة من حياة الصحراء على الأحوال الشخصية مذكراً بزينب ملكة تدمر وبلقيس ملكة سبأ وهند بنت أبي قابوس وليلى العفيفة ثم استعرض رموز برزت لنساء في النقد والأدب ومنهن ذكر سكينة بنت الحسين وأم جندب والخنساء، لكن للغناء والموسيقى كان حضوراً في بحثه عن المرأة في الجاهلية.. وفيه

توصيف لواقع الحال لتلك المرأة موضوع دراسته من كل الجوانب ولكل المجالات.

أما الفصول "الثالث والرابع والخامس والسادس" فقد خصصهم الباحث لشرح تحديات وصمود وموقع المرأة في ظل الإسلام مفنداً حالاتها وأوضاعها والمنغصات التي تعترض مسيرة حياتها مقارناً ومحللاً ومتفحصاً للكثير من المواقف استوقفه الأرث مطولاً كما الحجاب والسفور ومشيراً بشهادة القرآن الكريم إلى صون شخصية المرأة من قبل التشريع والشريعة لكن فصله الأخير الذي عنونه بفصل الأحوال الشخصية جاء في أغلبيته قانونياً قابلاً للمقارنة وشمل بقانونيته هذه المرأة في كل المجتمعات والأديان وهذه لفتة كبيرة ومتفحصة لمؤلف له الباع الطولى في إنصاف المرأة وقضيتها وإحقاق الحق لصاحبه ذكراً كان أم أنثى.

■■■

كتاب
نضال المرأة في مواجهة التحدي

عرض مرشد ملوك

صدر في دمشق مؤخراً كتاب "نضال المرأة في مواجهة التحدي" من تأليف الدكتور المحامي أحمد عمران الزاوي.

يتضمن الكتاب ثمانية فصول، يبحث المؤلف من خلالها جدلية نشوء وتطور حياة المرأة منذ بدء الخليقة حتى عصرنا الراهن من خلال دراسة ومناقشة الظروف التي مرت بها في كل عصر متأثرة بالظرف الاجتماعي والديني المرافق دائماً.

والكتاب بحق لوحة فسيفسائية متنوعة الألوان في التراث والثقافة والدين والقانون، ينظر كل إلى اللون الذي يريد وكلها تغذي الفكرة الأساسية "نضال المرأة في مواجهة التحدي".

يقول الدكتور أحمد عمران الزاوي في مقدمة الكتاب: " مرحى للقرن العشرين قرن التقدم والتطور.

كل عام منه يعادل مئة عام مما سبقه من قرون.

لقد قرب الأبعاد حتى غدا كوكب الأرض إقليماً صغيراً من أقاليم الفضاء، وفجر حصون الذرات وتعامل مع أحشائها العجيبة.

وفوق هذا فقد أطلق سراح المرأة وفك قيودها.

كانت فيما مضى لعبة الرجل في البيت وبعض أشيائه ومقتنياته ولكن

منكبها، في الحرب الأولى، زاحم مناكب الرجال، فارتفع العلم الوطني في يـدها البيضاء، وتذوق صدرها الرقيق طعم الرصاص، (ص٣٥).

المرأة في القديم

نقرأ في الفصل الأول دراسة ممتعة عن أحوال المرأة في العصور القديمة والاختلاف في معاملتها من حضارة إلى أخرى، على أنها تبوأت منزلة رفيعـة عند المصريين القدماء والبابليين ورفع الفرس من قيمة الأمومـة أيضـاً ولكـن الحالة الأمثل كانت عند المصريين القدماء، يقول ماكس مولر "ليس ثمة شـعب قديم أو حديث رفع منزلة المرأة مثلما رفعها سكان وادي النيل، فالنقوش تصور النساء يأكلن ويشربن بين الناس، ويقضين ما يحتجنه من المهام فـي الشـوارع من غير رقيب ولا سلاح بأيديهن، ويمارسن الأعمـال الصـناعية والتجاريـة بكامل حريتهن، ولشد ما أدهش الرحالة اليونان قد اعتـادوا أن يضـيقوا علـى نسائهم السليطات من هذه الحرية، (ص٥٥).

وكان حظها في بابل ليس أقل مما نالته عند المصريين فأعطتهـا شـريعة حمورابي مركزاً اجتماعياً لم تصل إليه المرأة العصرية إلى عهود قريبة يقـول المؤلف.

"سمحت شريعة حمورابي في أن يسند منصب القضاء والحكم إلى النسـاء حينما تتوفر الشروط المطلوبة في إحداهن، كما قبل حضور المرأة شاهداً أمـام القاضي وسمح لها أن تكون مؤلفة أو كاتبة".

"إنها كانت أقوى وأشمل من مركزها في أوروبا وأمريكا حتى نهاية القرن التاسع عشر".(ص٦١).

على أن الحرية التي نالتها في حضارات المصريين والبـابليين والفـرس، فقدتها عند الهنود القدماء والصينيين واليابان، وعنـد اليونـان أيضـاً إذ يقـول المؤلف:" فقد كانت السيادة داخل المجتمع الصيني داخل البيت وخارجه للرجل، حيث كان يملك حق التصرف فيه وبمن فيه من زوجة وأولاد، (ص٧٥).

أما حواء في القرون الوسطى فقد كانت واحدة من نسوة ثلاثة "ربيبة بيـت ارستقراطية" أو " ربيبة بيت متقشفة، أو "امرأة تتعاطى السحر".

المرأة في الجاهلية

ينتقل الباحث لدراسة واقع المرأة في الحياة الجاهلية، متناولاً الأحوال التي

مرت بها فهي لم تكن في صالحها دائماً ولا ضدها دائماً ويقول: " لم تكن ظروف المرأة الجاهلية سلبية على الدوام ولا إيجابية على الدوام كنت ترى عرفاً بضرب الزوجة والإضرار بها عن طريق الضرة والإضرار بالضرة عن طريق سواها.

وإلى جانب ذلك كنت ترى أعرافاً تقدر المرأة حقَّ قدرها ففي بعض القبائل ساد نظام الأمومة وصار الانتساب إلى الأم، فكثيرون من مشاهير العرب ينتسبون أو يتسمون باسم الأنثى مثل " مغيرة" و"بجيلة" و"نويرة" فالمناذرة نسبوا جميعاً إلى أمهم " ماء السماء ماوية بنت عوف بن جشم ملكة العراق وأم ملوك العب ورث عنها المناذرة الذكاء والشرف والمروءة". ص(١٣٧).

المرأة في الإسلام

وبعد الجاهلية وضمن السياق التاريخي يصل الباحث إلى مكانة المرأة في الإسلام، مفرداً الفصل الثالث للحديث عن المزايا الإنسانية والاجتماعية التي حققها الإسلام للمجتمع بشكل عام والمرأة بشكل خاص.

" قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن و الإثم والبغي بغير الحق،.." سورة الأعراف ــ الآية (٣٣).

وفي هذا يقول الدكتور الزاوي:"منذ أن دخل الإسلام حياة الناس، عقيدة وتشريعاً وآداباً واجهت قضية المرأة وشخصها انعطافاً حاداً، يفصل ما حضر عما غبر بجدار من فولاذ الوحي والتشريع والتنظيم". ص(١٥١).

ونقرأ في رحاب بحث المرأة في الإسلام، المرأة في النصوص الإسلامية، في القرآن، والسنة الصحيحة من خلال مناقشة رأي الإسلام في الزواج والطلاق والتعدد والإرث، ليتبلور لدينا موقف مفاده أن الإسلام دين التحرر والتحرك وملبّي لحاجات البشر في كل عصر وزمان يقول الكاتب: " لقد غدا من ثوابت المعرفة أن الله زود عقل الإنسان بقدرة التحكم في الحاضر والتطور نحو المستقبل، فهو يزداد غنى بما تضعه الأجيال السابقة بين يديه من تجارب وما توصلت إليه من علوم وفلسفة وفنون وأصول حكم.

والإسلام الذي هو آخر الرسالات يمثل عناية الله في خلقه وحضوره الدائم معهم، لذلك خصه بقابلية التحرك مع الحياة وأودع في أحكامه مرونة فائقة يستطيع أن يلبي بها حاجات الإنسان في كل زمان". (ص ٣٤٤ ــ ٣٤٥).

ولكن هذه المزايا التي نالتها المرأة في أوائل الدعوة طرأ عليها تغيير وتحريف في العهود الإسلامية التالية، مكبلة قيود المرأة برباط ما كان أيام ولادة الدعوة يقول المؤلف:"وصل التشدد في عهد الحاكم بأمر الله أنه أصدر أمراً شديداً منع المرأة شابة أم عجوزاً من مغادرة دورهن والسير على الطرقات".

وحتى خروج هؤلاء يجب أن يتم بتصاريح تصدر عن القصر بناءً على طلب منهن بعد التثبت من أن خروجهن هو لمزاولة أعمالهن المسموح بها".(ص٢٣٦).

المرأة في العصر الحديث

وفي العصر الحديث عصر الآلة والتكنولوجيا و تبوأ العقل مكانة أرفع لا شك أنه في هذا الظرف عظمت مكانة المرأة، وتكدس عامل جديد مساعد في نضالها لنيل حقوقها، يقول المؤلف:" أن العمال وخاصة جنس النساء ــ وإن شاركن الرجال في التذمر من دخول الآلة إلى المصانع فقد كان لابد من الاعتراف بأن الآلة قضت على التفاوت الجسدي، وألغت الفروق بين العامل القوي والعامل الهزيل وبذلك ــ وهذا مهم في نظرنا ــ ألغت الفروق بين الرجل والمرأة في دنيا الآلات وزالت من أذهان الناس تلك الفكرة التي كانت تملأ الرؤوس عن الضعف النسائي الطبيعي" (ص٤٠٢).

والدرس الأهم في الحياة السياسية المعاصرة، هو الأخذ بالرأي الصحيح بغض النظر عن جنس قائله يقول الدكتور عمران :"إن غاية النظام السياسي الرشيد هي الحصول على الرأي الحر لأعضاء الهيئة الاجتماعية التي تتكون من الرجال والنساء، وما ذلك إلاّ لأن فرض الصمت على نصف الهيئة لن يعبر عن نظام سياسي أمثل،(ص٣٩٢).

نضال المرأة العربية

والمرأة العربية التي تأخذ نضالها عن مثيلاتها الأوربيات رغم دعوات، علي باشا مبارك ــ ١٨٧٠م، ورفاعة الطهطاوي والشيخ محمد عبده عام ١٨٨١م، ولكن الاسم الشاهق المناضل في حياة المرأة العربية كان " قاسم أمين" ومما قاله:" أن الشرق والغرب على نزاع قوي وإن الشرق لن يتمكن من الوقوف على قدميه أمام الغرب إلا إذا استطاع أن يجاريه في حضارته وتقدمه".(ص٤٣٥).

ويتابع الباحث:

" ويسجل لقاسم أمين بدون تردد أن دعوته كانت الأولى في تاريخ الحركة النسائية في مصر وفي الأقطار العربية وأنه مع ما تلقى من نقمة ومعارضة ظل رابط الجأش ــ مجاهراً برأيه دون تردد ــ معلناً في كل مناسبة أن الضمانة الأكيدة لتطور المجتمع، هي في تطور المرأة وأن الضمانة الوحيدة لتطويرها وممارستها حقوقها السياسية والاجتماعية كاملة في دفعها إلى دروب العلم ولتحصيل فلتلج أبوابه إلى أقصى مدى". (ص٤٣٦).

في القانون:

ويجد القارئ في ثنايا الكتاب لمسة قانونية، تفلسف مشاركة المرأة في الحياة العامة وضمن الحقوق العامة، إضافة إلى بحث في الأحوال الشخصية للمرأة، وهذا طبيعي لأن المؤلف رجل تمرس العمل القانوني فترة طويلة، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد عمران:" وبعد أن ثبت لأهل الحكم في بلادنا العربية أن غاية النظام التمثيلي هو وضع الضوابط التشريعية لإسعاد المجتمع بجميع أبنائه، عرفوا أن حرمان نصف الأمة الاشتراك في التشريع والإدارة، يعني أن نظامنا التمثيلي لم يستوف شرائطه القانونية والأخلاقية.

إنه لأمر طبيعي، أن يظل بعيداً عن ممارسة تلك الحقوق بعض الأشخاص، ولكن ذلك يبنى دوماً على أسباب موجبة كأن يكونوا ناقصي الأهلية أو فاقديها كلياً، أو محكومين قضائياً بالحرمان من ممارسة الحقوق المدنية.

وهذه الحالات جميعها، تقع في الرجال والنساء، لذلك ينبغي أن يكون المنع في من تقوم عندهم إحداها لا فرق بين ذكر وأنثى.

أما أن يتقرر حرمان المرأة من حقوقها لا لعاهة أو حكم، بل لأنها امرأة فقط، فذلك خلل ديمقراطي لا مبرر له". (ص٤٢٥ ــ ٤٢٦).

والدعوة الأهم التي يوجهها المؤلف إلينا جميعاً هي تلك النظرة النقدية التحليلية لفهم نصفنا الآخر ليؤدي الدور المطلوب منه، وخاصة ونحن نلج القرن الحالي إلى القرن الحادي والعشرين، يقول الباحث: "أما نحن الذين نتحفز نحو القرن الحادي والعشرين، تجدنا ملزمين بإلقاء نظرة تحليلية نقدية إلى نصفنا الذي لم يغادرنا ولن يغادرنا وسوف نعكف معه على بناء مجتمعاتنا وتربية أجيالنا ونظرتنا إلى المرأة يجب أن تنسجم مع ما آلت إليه من ثقافة وثقل اجتماعي.

إنها لم تعد الشريك الضعيف المتخلف ثقافياً والعـــاجز اقتصـــادياً بعـــد أن زاجم منكباها منكبي الرجل في التحصيل العلمـــي والأداء الـــوظيفي والتمثيـــل الشعبي والمردود الاقتصادي ومسؤولية الدفاع عن الوطن واسترخاص الأرواح في سبيل عزته وكرامته". (ص٣٤٩ ــ ٣٥٠) عرض: مرشد ملوك

■■■

إلى الباحث العربي الكبير
العلامة الدكتور أحمد عمران (الزاوي)

قصيدة للشاعر: أزدشير يونس الخليل

سرى الفكرُ العظيمُ إلـى الفخـار ... بأوسـمةِ الـولاء إلـى القـرار
إلـى بحـر العلـوم بغيـرِ شـكٍ ... إلـى الفجـر المـؤدي للنهـار
يعطّـرُ بالتحيَّـة كـلّ حـيّ ... بلونِ الصبح في حُسـن اختيـار
ويبعثُ نسـمةً بالحـب أضـحتْ ... بهاءَ الأرض مـن زهـرٍ وغـارِ
لمن جعلَ الحضـارة خيـرَ نهـجِ ... وعمَّقهـا بفكـر وازدهـار

***

أأحمـد أنـتَ نـاموسٌ تجلّـى ... كشمسٍ أشـرقت بعـد انحسـار
فلا يوفي المـديحُ ولسـت أدري ... معاني المدحِ في شُهبِ الصحاري
فأنت النّور فـي عصـر تلاشـت ... مصـابيحُ الأهلـةِ للمسـارِ
وأنت المجدُ في عصـر تهـاوت ... قـلاعُ الفكـرِ مـن ريـح ونـارِ
جعلـت حقـائق التـاريخِ سـفراً ... بعقل فاض عـن فـيض المنـارِ
يفرُّ الليثُ مـن لحظـات طـرفٍ ... كومض البرق في ليـل البـراري

وتشفي الجرح من لمسات كفٍّ كعيسى وهو في نور المزار

وتسقي كلّ ظمآن شراباً نقيّاً من معتّقةِ الجرار

تشاطرُ كلّ مكرمةٍ تسامتْ تسيرُ مع الملائك والحوار

وسعيُك للحقيقة أسمى جهداً وذكرُكَ صار في فلكِ المدارِ

فصغت الفكر للتاريخ حقاً بكفٍّ للعطاء من الدّراري

...أأحمدُ أنت للمشتاق روضٌ يكللُ بالشّذى كلّ الدّيار

نسيمُ الصبح من همسات ثغرٍ يزيلُ الوهمَ عن ذات الخمار

فمجدكَ خالدٌ والشمسُ تبقى بكفكَ تهدي أهداف الشعار

وأصحابُ المبادئِ نبضُ قلب يميلُ إلى الجلالةِ والفخار

ستُشرق من بيارقهم عهودٌ كبدرِ قد أضاءَ على القفارِ

عرفناهم وهديهمُ تسامى ليبنوا الدّار من بعد انهيار

***

أيا علمٌ يحلّق في الأعالي ويعطي الحبَّ نوراً للسواري

رسمتَ الفجرَ والماضي ضياءً من العرفان روضُك في اخضرارِ

شهدنا أن كفك فيضُ علمٍ كبركانٍ يثورُ من انفجار

فذاك العلمُ يفتح كلّ بابٍ ويجلو الدَّار من أثر الغبار

■■■

إفصاح

الدكتور مصطفى الرافعي

حين قرأت مخطوطة الأديب الكبير والقانوني القدير المحامي أحمد عمران الزاوي بعنوان (كلا لن يخرج العرب من التاريخ)، كنت على وشك أن أصدر مؤلفي الرابع والثلاثين وعنوانه (خروج العرب من التاريخ أو عودتهم لقيادة العالم من جديد) لكني بعد أن قرأت الدراسة القيّمة المنوه عنها آنفاً للعبقري الفذ الأستاذ أحمد عمران الزاوي بمقولته بأن العرب لن يخرجوا من التاريخ بل سيصدّرون إلى العالم من جديد حضارة زاهرة ومدنية وارفة، ويعودون – كالعهد بهم أبداً –موئل حكمة، ومصدر خير، ومنارة إشعاع وأفق مصاعد، وينبوع محبة، ومشارف سلام.

كيف لا، والتاريخ الآن يمسك قلمه ويتطلّع نحو البلاد التي تشرق منها الشمس وكذلك يرنو ببصره نحو الربوع التي تواكب مغربها، والتاريخ حين يمسك بالقلم ويرقب شعباً من الشعوب، فإن هذا الشعب قادم –لا محالة –على أخطر مرحلة من مراحل حياته سلباً أو إيجاباً ويتقرر في ضوئها مصيره.

ونحن العرب في هذا الزمان بالذات –يحق لنا أن نتفاءل مسبقاً بالمستقبل الوضيء اقتداءاً بالأستاذ أحمد عمران الزاوي، كما يحق لنا أن نعتبر أنفسنا من السعداء لأننا نواكب فترة حاسمة وجليلة من تاريخ العرب، هذه الفترة التي سوف يقرأ عنها أحفادنا في المستقبل القريب ويقولون مغتبطين: هنيئاً لآبائنا لقد شهدوا ميلاد الوحدة العربية.

ولا عجب في ذلك لأن الروابط بين مختلف البلدان العربية قديمة قدم التاريخ.

هذه حقيقة من الحقائق الثابتة التي لا تحتاج إلى عناء طويل وتفكير مضن في إثباتها.

والإيمان بهذه الحقائق بدأ عند العرب منذ العصر الإسلامي الأول، ثم على امتداد الزمن حتى وقتنا الحاضر الذي ازدادت فيه وشائح القربى توثقاً بحكم التطور والمصلحة المشتركة بين شعوب الأمة العربية كافة. فقد وطدتها علاقات قديمة، وثبتتها صلات حديثة مستمرة من تجارب جديدة: من الآلام والآمال المشتركة، حطمت الحدود وكسرت القيود، وأزالت الحواجز، وأصبحت هذه الروابط تحتم عليهم تحقيق الوحدة الشاملة بينهم –دونما تحزّب أو تعصب –لصد كيد أعدائهم من الصهاينة والمستعمرين.

فشديد على الصهيونية والاستعمار أن تلفّ الوحدة العربية جميع دولنا وشعوبنا، وهم يريدوننا أشتاتاً مبعثرة لا يقوم لنا كيان، ولا يجمع شملنا اتحاد، ولا تبيد أحقادنا وحدة.

والوحدة التي ننشدها هي وحدة الصف، ووحدة السياسة، ووحدة الهدف.

فوحدة الصف تحتم على العرب جميعاً أن يصهروا مجموعاتهم في بوتقة واحدة لا يشذ عنها أحد، يربطونها برباط الأخوة المتين، مع الإيجابية الفعالة والعمل المثمر.

ووحدة السياسة: تقتضيهم أن تكون كلمتهم في المحافل الدولية واحدة حتى يحسب العالم حسابهم ويثبتوا في المجال الدولي وجودهم.

وأما وحدة الهدف فإنها تعني تحديد الغايات التي تنشدها أمتنا، وهي تتخلص: في السعي الدؤوب لإخراج العدو الإسرائيلي من أراضينا والتحرر من الاستعمارين: القديم والحديث والوقوف بعزم وصلابة في وجه المؤامرات الإمبريالية –ولا سيما الأميركية منها –بجميع ألوانها. ذلك لأن الصهيونية والاستعمار والإمبريالية هم أقدم المعوّقات الخارجية في هذا الزمان –بل وعلى كل الأزمان –فهي تسعى سافرة حيناً ومستترة أحياناً، لعرقلة كل وحدة يعتزم العرب إقامتها.

بيد أن اليوم الذي ننسى فيه وحدتنا ينسينا الله أنفسنا، فيلقننا من الدروس التأديبية ما يحفزنا من جديد إلى السعي لاسترداد وحدتنا ليأخذ الله بعدها بيدنا، إلى طريق النصر على أعدائنا، والظفر بحقوقنا العادلة المشروعة. فالحرب سجال، والدنيا نضال والعاقل هو من يتخذ عبرة من المحن فلا يستخذي أمامها

ولا يستسلم لها.

وإن ما يبعث في النفس الأمل أن جميع شعوب الأمة العربية اليوم باتت تشعر شعوراً واحداً بحتمية الوحدة بين جميع أبنائها وعلى مختلف ساحاتها.

ليس أدل على ذلك من الخطوة الشجاعة الرائدة التي خطاها زعيم الأمة العربية في عصرنا الخالد الذكر جمال عبد الناصر، حين عمد عام ١٩٥٨ إلى تلبية مشاعر الجماهير العربية بتحويل حلمهم الكبير إلى واقع جميل، فأقام الجمهورية العربية المتحدة بين الشعبين العربيين العريقين: الشعب المصري والشعب السوري.

هذه الوحدة النواة التي سبقتها إرهاصات كبرى وعلامات ضخمة دلت دلالة واضحة على أن وعي الشعب العربي كله يتمخض عن انقلاب جذري، وإن كفاحه كان يتطور تطوراً ملحوظاً نحو الوحدة.

جرى ذلك الحدث السعيد بعد أن مكث العرب أجيالاً طويلة يرزحون تحت أثقال الحكم التركي ويعانون أشد العناء من تسلط الأتراك على العرب واضطهادهم لهم.

ولكن العرب البواسل حينما بدت لهم تباشير الفجر، ولاحت في أفقهم خيوط النور، حملوا السلاح وانتفضوا انتفاضتهم الثورية الأولى ليزيحوا نير العبودية، وليحطموا أغلال الحكم والسيطرة ووثقوا بكلمة الشرف التي تفوه بها مبعوث إنكليزي يمنيهم بالاستقلال والوحدة والحرية.

ولم تكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى كانت معاهدة سايكس –بيكو– تطعن العرب في صميم أمانيهم، وإذا بالحلفاء المخادعين الذين أحسنّا بهم الظن، يتحولون –وهذا طبعهم –إلى قراصنة مجرمين، يتناهبون الوطن العربي ويتقاسمونه كما يتقاسم اللصوص سرقة كبرى وأتاهم الحظ في اختطافها.

ومنذ ذلك الحين بدأت القومية العربية تعمل، وأخذ تيارها يسري في الأوصال، واندفعت فعاليتها تبعث الدفء والحرارة والحياة في كل مجتمع عربي، وفي كل بلد عربي.

مراحل المعركة العربية:

وبدأت في الخفاء معركة شديدة بين الدولتين المنتصرتين: بريطانيا وفرنسا من جانب وبين الشعب العربي من جانب آخر وأعدت الدول المنتصرة سلاحها

وهيأت نفسها، ودرست أرض المعركة ونفسية العرب، ورسمت مخططاً بعيد المدى، أول خطوطه أن يؤمن العرب بصداقة الغرب لهم، وآخرها أن يستعد الشعب العربي بكافة الوسائل والطرق للتضحية –حتى بنفسه –إذا تهددت المصالح الغربية.

ومن أجل الوصول إلى هذه المطالب، بعثت بريطانيا بمهرِّجيها الأوائل أمثال: (لورونس وفيليبي وغلوب وغيرهم)، بعثتهم (ليستعربوا) أمام العرب، ثم ليوجهوا التيار العربي لصالح بريطانيا، وبعثت فرنسا إرسالياتها التبشيرية تلبس مسوح الرهبان وتتخفى وراء واجب التعليم، وهي في الحقيقة تغرس في الأرض العربية غرساً لها تتعهده تارة بالرعاية وطوراً بالسقاية وتارة ثالثة بالعون والحماية.

وكانت الخطوة التالية بعد تلك البعوث، خلق عروش هزيلة، وتفتيت الوطن العربي وتشجيع الكيانات المستقلة، وإيجاد الإدارات الخاصة.

وهكذا وُجدت –ما بين ليلة وضحاها –مملكة في الرافدين قطع البريطانيون فيها أحد أبناء "الحسين" أرضاً عربية خصيبة، ورسموه عليها ملكاً. كما أقطعوا أخاه "عبد الله" أرضاً عربية أخرى –بشرق الأردن –وبالقرب من مراكزهم الاستراتيجية في فلسطين، وأطلقوا عليه لقب الأمير في البدء، ثم اصطنعوا لأنفسهم ثماني إمارات على الخليج العربي، قيّدوها بمحالفات مضحكة مبكية، ليس فيها من صفات المحالفات إلا أنها عقد بين طرفين. أما ما سوى ذلك فأصداء مهذبة لمعنى القرصنة واللصوصية.

ولعل سائلاً يسأل: هل أحنى الشعب العربي رأسه للعاصفة؟ وهل مثلّ دور العبد المطيع للأسياد الغربيين؟

لا، إن النقمة في قلوب العرب لم تفتر لحظة واحدة، وإن نيران الثورة ظلت متأججة وإن الغضبة على الغرب واستغلاله وسيطرته وتحكمه كانت في المدّ تارة وفي حالة الجزر تارة أخرى.

ففي سنة ١٩١٩ اندفعت جموع الشعب العربي بمصر في ثورة لاهبة قضى عليها البريطانيون بمساندة نائبهم في مصر الذي كان يسمى "ملك مصر".

وفي نفس الفترة تقريباً اندلعت نيران لاهبة في وادي الرافدين لفَّت العراق من أقصاه إلى أقصاه.

غير أن التوفيق لم يحالف الثورتين المذكورتين في مصر والعراق، لأنهما

كانت تحتاجان إلى مزيد من الاستعداد وإلى مزيد من التنظيم.

ثم في سنة ١٩٣٦ اضطربت فلسطين، واهتزت المؤسسات البريطانية واليهودية فيها، وراع هذه وتلك هاتيك البطولات الخارقة التي أبداها شباب العرب وشاباتهم، نساؤهم ورجالهم في سبيل الحرية والاستقلال والكرامة.

وفي نفس الفترة تقريباً ارتعدت فرائض فرنسا إثر الطلقات النارية التي تجاوبت بها أجواء العروبة في حوران وجبال العلويين والغوطة ودمشق وحماه، وعانت فرنسا أشد العناء في إخماد اللهيب الذي كاد يذهب بها وفي القضاء على الثورات التي أذهلتها بما تضمنته من آيات الفداء وأماثيل البطولة والشهادة.

ثم في سنة ١٩٤١ والدول الغربية تعالج سكرات الموت، انتفضت بغداد لتدك عرش الطغيان ولتدمر القلعة البريطانية في الشرق الأوسط في محاولة انتحارية قام بها ضباط الجيش العراقي الباسل بقيادة رشيد علي كيلاني ولكنها – للآسف– فشلت ولم تؤت أكلها وشرد الضباط الأحرار وقتلوا ومثل بهم أشنع تمثيل.

وأخيراً وفي سنة ١٩٤٣ ثار لبنان العربي من أقصاه إلى أقصاه استنكاراً للهمجية الفرنسية وضربت طرابلس وصيدا وبيروت أروع أمثلة الصبر والشجاعة.

كل هذه الانتفاضات الدامية، والثورات اللاهبة، كانت تدلّ –أبلغ الدلالة – على أن القومية العربية حيّة في كل بلد عربي وأن جهادها المتواصل الصابر كان سلسلة مترابطة الحلقات، وأنها كانت حرباً مستمرة مع الاستغلال والسيطرة والعبودية المتمثلة بالدول الغربية، لا تكاد تخمد هنا حتى تشتعل هناك، ولا تكاد تنتهي في بلد حتى تبتدئ في بلد آخر.

وكان لا بد أن تعطي هذه الحرب ثمارها، وكان لا بدّ أيضاً أن ينتصر الشعب العربي –إن عاجلاً أو آجلاً –وهذا ما حصل فعلاً إذ انتصرت القومية العربية ووُلدت –كما ذكرت آنفاً –نواة الوحدة متمثلة بالجمهورية العربية المتحدة التي لم تكن شكلاً دولياً فقط ولكنها كانت خلاصة تاريخ وتجسيد آمال، ومعتقد شعب، وروح أمة.

ولكن تلك الوحدة لم يُقدّر لها أن تعيش سوى بضع سنوات، أعقبتها كارثة الانفصال المشؤوم بين مصر وسوريا لأن الاستعمار الإمبريالي الصهيوني كان

يدرك أن مصالحه في الأرض العربية سوف تتعرض من جديد للزوال والضياع بقيام وحدة عربية فتية بناءة، تكمن فيها كل عوامل الخلود والبقاء. فراح –ولم يزل –يعمل على تفريق الكلمة وتصديع الصفوف بين شعبي الوحدة النواة –السوري والمصري –بل بين حكومات الأمة العربية محذراً من خطر استمرار هذه الوحدة وانتشارها، حتى تمكن من الإطاحة بها وهي في المهد، سالكاً في تحقيق هدفه وسائل شتى لا يتسع هذا المجال لتفنيدها.

لعل من أبرزها –في نطاق حربه النفسية لأمتنا العربية –بث روح الهزيمة واليأس من جدوى تلك الوحدة، بل ومن كل وحدة تفكر أمتنا بتحقيقها. إضافة إلى أن الممارسات الشاذة التي اقترفها بعض الساهرين على رعاية هاتيك الوحدة النواة، إلى جانب عدم تقديرهم للمسؤولية، لم تكن أقل تأثيراً في إجهاضها من التحدي الإمبريالي الصهيوني نفسه.

بيد أن مجرد الاكتفاء بالحزن والآسف والبكاء على الأطلال لا يجدي شيئاً. فالبكاء على الميت لا يحي الميت، والأسف على الفائت لا يرد الفائت، والحزن على المصيبة لا يدفع المصيبة، ولكن بالعمل الهادف الجاد، وبالعزم واليقظة والاستعداد نقيم من جديد وحدتنا ونرسخ دعائمها في نفوسنا وصفوفنا، ونبلغ بها أقصى أمانينا.

وفي هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا وحياتنا، وفي هذه الأيام العصيبة التي تمر بها دنيا العرب وهي تحارب الاستعمار والصهيونية بكل ما تملك من بأس وقوة، وتتطلع إلى الغد المشرق، وتناضل الخونة والجواسيس وتجار الوطنية فتخوضها معركة حياة أو موت معركة شعب أصيل ذي حضارة وأمجاد، معركة شعب يتطلع إلى الماضي يستمد منه عزماً وإيماناً وتصميماً، وتصهره آلام الحاضر فيحاول أن يخلق من كل ذلك مستقبلاً جديراً بأمته، وأن يتابع الرسالة الخيرة التي بشرَّ بها أجداده.

في هذه الأيام يجدر بكل مواطن عربي أن يعي هذه الحقيقة، وهي أن رسالة القومية العربية التي لا تعرف العصبية أو الحقد، رسالة القومية المنفتحة، التي تود أن تعيش مع باقي القوميات في سلام وأمان، لا استعمار ولا استغلال ولا تعصب ولا عبودية.

هذه القومية التي تضمنا مسيحيين ومسلمين، ساهمنا جميعاً في بناء صرح حضارتها وامتزجت دماؤنا جميعاً في معاركها، إنها ارث لكل منا، لم يورّثنا إياها نبي من أنبياء الله، ولا حملّنا إياها دين من الأديان، بل كونتها لنا طبيعة

حياتنا وسر ارتباطنا بأرضنا أرضنا هذه التي نحيا من خيراتها ونتنشق نسماتها، ونحرث سهولها وديانها، ونسكن جبالها وشطآنها.

أجل إن العروبة هي واقعنا الذي لا غنى لنا عنه، وحاضرنا الذي لا حياة لنا بدونه ومستقبلنا الذي لا وجود لنا إلا به..

وليعلم الضائعون وراء سراب الاستعمار، أن كل كيان في الأوطان العربية لا يستند إلى عنصر الوطنية العربية، هو كيان أعرج أبتر، وأن كل دولة تبني أركانها لهدف ديني ومن طريقة طائفية كإسرائيل مثلاً، هي دولة فاشلة، تحييها الظروف وتميتها الظروف وتقويها المناسبات وتفنيها المناسبات، وإنها تحمل طبيعة فنائها في ذاتها، وسر زوالها بتكوينها.

ونصيحة أخيرة إلى المبهورين بدعاية السوء، الوجلين من العروبة، نصيحة إلى هؤلاء ألا تغرهم بهارج الاستعمار، فسرعان ما يقلب لهم ظهر المجن، ويتحول منهم إليهم إذا اقتضت ظروفه ومصالحه. وليعلموا إن كانوا غيارى على أبناء وطنهم أن العروبة أسمى درجات الوطنية وأرقى مراقيها.

إن معركتنا مع الاستعمار هي المعركة الفاصلة معركة المصير إلى الأجيال القادمة ومبدؤنا الذي لا يتحول هو: نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد.

وإذا كان الجيش بقائده، وإذا كانت السفينة بربانها، فعسى أن يكون قائد مسيرة التحرير والتوحيد للأمة العربية في عصرنا الرئيس الملهم "حافظ الأسد" أمهر وأعظم رُبان.

وفي الختام فإن قيمة هذا الكتاب "كلا لن يخرج العرب من التاريخ" للعلامة المحامي أحمد عمران الزاوي أنه انطلق من موقع التفاؤل بمستقبل وضيء لأمتنا العربية، وقد استطاع –حفظه الله –بما أوتي من علم وثقافة وإخلاص للإسلام والعروبة أن يحقق الكثير الكثير من النجاحات في المنهج الفكري، راجياً لهذا الكتاب القيّم الرواج ولمؤلفه الصديق الوفي المحامي أحمد عمران الزاوي المزيد من الإبداع والعطاء.

■■■

قراءة
في كتاب مفتوح إلى المواطن العربي

العلامة محمد حسين فضل الله

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى

ربما كانت القضية الفلسطينية من أكثر القضايا تعقيداً في حجم الأزمة الكبيرة التاريخية المعقدة ومأساةً في عمق الآلام القاسية والجراح النازفة وإثارةً لكل المشاعر والأحاسيس في كل الواقع الإنساني في النطاق العربي والإسلامي بما يهدد المصير ويصادر الحاضر والمستقبل ويباعد بين الواقع والتطلعات.

فقد اندفعت اليهودية العالمية الحاقدة ذات العنصرية العميقة الضاربة جذورها في نفس اليهودي القائد الذي سيطرت عليه في كل ثقافته الدينية المنحرفة فكرة أرض الميعاد كهدف مقدس لا بد له من السعي إليه من أجل إنقاذها من الشعوب الأخرى التي تسكنها وتسيطر عليها وتحركت كل طاقاتها المتنوعة في كل مكان من العالم من أجل تنفيذ الخطة المرسومة للسيطرة على فلسطين في عملية تحريك وتوزيعٍ للأدوار ودراسة لكل الظروف الموضوعية المحيطة بالواقع السياسي في المنطقة في تخطيط الاستكبار العالمي واستغلال لكل المآسي التي حدثت لليهود في ألمانيا مع المزيد من التضخيم العالمي واستغلال لكل المآسي التي حدثت لليهود في ألمانيا مع المزيد من التضخيم والتهويل الذي يحول المسألة إلى عقدة ذنب في وجدان الإنسان الغربي لا بد له من التكفير عنها على أساس حقوق الإنسان.

كل ذلك مقارناً بالضعف العربي الذي كان مثقلاً بالاستعمار الغربي بشكل مباشر أو غير مباشر والغياب الإسلامي الذي كان ضائعاً في خلافاته المذهبية وتمزقاته السياسية وأوضاعه المتخلفة على مستوى الفكر والسياسة والاجتماع وهكذا دخلوا الحرب التي أريد لها أن تكون مناسبة سياسية لتشريع السيطرة اليهودية على فلسطين بفعل الحرب التي اجتمعت لها كل عناصر الهزيمة للواقع العربي ومن خلاله للواقع الإسلامي، مما يهيئ للدول الكبرى الاعتراف بها واعتبارها دولةً يهودية.

وهكذا كان وانطلق الواقع العربي ليبدأ مرحلة انفعال سياسي وثقافي وصراعاً مريراً بين أنواع التمزقات الإقليمية والمذهبية والحزبية، وبدأت الأوضاع الاستكبارية تنفذ إلى واقعنا الضائع لتزيده ضياعاً، وتحركت كل المحاور الدولية في ساحات الحرب الباردة بين الشرق والغرب لتجتذب دولةً أو حزباً هنا إلى هذا المحور ودولةً وحزباً إلى ذلك المحور ودخلت القضية الفلسطينية في دائرة التجاذبات الدولية من أن يكون هناك أيّ موقف حاسم لمصلحة القضية العربية والإسلامية حتى من المحور الذي يمثل دور الحَليف لأنه يرتكز في سياسته على الاعتراف بشرعية إسرائيل.

وبدأ هذا الواقع يضيف إلى تمزقات الأمة تمزقاً جديداً يغرق من خلاله الجميع في حروب متحركة على أكثر من صعيد وضاعت الساحة في غمرة الأوضاع المعقدة التي ساهمت في حركة الضياع الجديدة.

كانت الخطة أن تتحول المسألة بين العرب والمسلمين من جهة واليهود من جهةٍ أخرى إلى نزاعٍ سياسي بدلاً من طبيعتها الحيوية في اعتبارها حركة صراع حضاري تتجمع فيه كل قضايا المفردات الحضارية في جذورها العميقة الممتدة إلى كل قضايا الحاضر والمستقبل.

وانطلقت الغيبوبة السياسية تفرض نفسها على كل الوجدان العربي في كل أبعاده الصراعية في الداخل التي يتمثل فيها كل الإحساس والضعف والاستسلام للخارج وبدأ البعض يتحدث عن الواقعية السياسية التي تفرض الخضوع للأمر الواقع بدلاً من الواقعية الحركية التي تعمل على تغيير الواقع بأدوات الواقع.

وهكذا رأينا كيف استطاع اليهود أن يحصلوا على الاعتراف بالأمر الواقع "إسرائيل" كحقيقةٍ سياسية واقعية قوية كأقوى مواقع الحقائق المعاصرة وانتقل النزاع إلى الأراضي المحتلة "الضفة الغربية وغزة" فلسطينياً، والمناطق المحتلة في هذا البلد العربي أو ذاك عربياً.. ودخل الجميع مؤتمر مدريد وأصبحت

عناوينه مطلباً استراتيجياً يلهث الواقع نحو الحصول على نتائجها، وتطورت الخطة اليهودية بالتحالف مع الاستكبار العالمي، وفي مقدمته أمريكا التي تمثل الحليف الاستراتيجي لإسرائيل على صعيد السياسة والأمن والاقتصاد بالمستوى الذي أصبح فيه الأمن الإسرائيلي والتفوق النوعي لها على المنطقة سياسة أمريكية ثابتة وأغلقت كل أبواب الحرب مع إسرائيل بفعل الشعب والضعف والتمزق العربي، وبدأ الحديث عن السلام في السياسة العربية لهاثاً يتعب السائرون في اتجاهه من دون نتيجة، ورفعت إسرائيل شعار السلام خطةً تعمل على النزاع كل المواقع الحيوية لدى العرب لحساب استراتيجيتها، وإخضاع الواقع العربي لسيطرتها السياسية والأمنية والاقتصادية، وبدأت الخطة العربية في التحرر من القضية الفلسطينية ليرجع كل فريق خصوصياته الإقليمية وعلاقاته الأمريكية لينكر في المحافظة عليها والاستغراق فيها وليكون موقفه من حقوق الفلسطينيين وحقوق العرب الرازحين تحت الاحتلال على هامش خصوصياته الداخلية وانطلق الإعلام الدولي والعربي ليتحدث عن البقية الباقية من أحرار الأمة بأنها التي تمثل التطرف الثقافي والسياسي بعد أن ضاعت من الواقع، وأصبح الحديث حول مفردات التسوية في مفاوضات الوقت الضائع.. ونسي الأكثر مسألة فلسطين والشعب الفلسطيني والعزة العربية والكرامة الإسلامية وواقع الشعوب المضطهدة بفعل الاحتلال.. وما زال الجدل يدور ويدور في الأمم المتحدة وفي كواليس السياسة الأمريكية والأوروبية "وما زال العرب يلهثون وراء تصريح هنا من أمريكا وتصريح هنا من إسرائيل" وما زال الجميع في الدوامة.

والآن.. قد نكون بحاجة إلى إعادة الذاكرة العربية والإسلامية إلى وجدان الإنسان العربي والمسلم حول القضية الفلسطينية في أبعادها التاريخية والمعاصرة والمستقبلة باعتبارها القضية التي تختصر التاريخ المعاصر في مدى النصف القرن الماضي.. فقد نسي الجيل الجديد أكثر التفاصيل واستغرق في تعقيدات المشاكل الطارئة التي يضيع فيها الواقع.

وهذا الكتاب يمثل محاولةً جادةً للحديث عن جذور الشخصية اليهودية في حقدها العنصري التاريخي على كل الواقع الإنساني ولا سيما الواقع العربي والإسلامي وعن حركة هذا التحرك الحاقد وعن نتائجه وعلاقاته الإقليمية والدولية ولا سيما العلاقة الإسرائيلية الأمريكية التي تمثل المصالح المشتركة للدولتين ضد مصالح العرب والمسلمين..

وذلك لا يضاف هذا الكتاب إلى بقية الكتب المؤلفة في هذا الموضوع –بل ليكون صرخة عربية إسلامية تهز أعماق هذا الإنسان بكل صفاء ونقاء ورساليةٍ وحيويةٍ وحركيةٍ.

وقد قرأت قسماً من هذا الكتاب فرأيت فيه الالتزام بالموضوعية التي لا تبعد عن الخط الرسالي للقضية والدقة في المحاكمة والتقويم مما يجعل منه كتاباً جديراً بالقراءة والتفكير.

أمّا مؤلفه فهو الأستاذ المحامي أحمد عمران الذي عرفته كاتباً ناجحاً في تجاربه الثقافية ملمّاً بالموضوعات التي يعالجها، منفتحاً على الجديد في الواقع.

إنني أرجو لكتابه هذا المزيد من النجاح والانتشار وآمل أن ننطلق من هذه التجارب الفكرية الواعية إلى واقع مستقبلي رائد لا يتعب من الصراع مهما امتد وطال، عندما تكون القضية قضية الأمة كلها في مسألة المصير والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٣١ شعبان ١٤١٨هـ

■■■

آراء ودراسات :
قراءة في كتاب
"كتاب مفتوح إلى المواطن العربي"..
تشريح تاريخ الصهيونية

عرض بتول الطريحي

"إسرائيل" محكومة بمنظومة أساطير وأفكار ظلامية وعنصرية وفاشية

كثيرة هي الكتب والدراسات والبحوث التي تناولت الحركة الصهيونية باعتبارها حركة سياسية توسعية تحتوي على عقائد راسخة في أذهان اليهود ابتداءً من التعاليم التوراتية الموضوعة أصلاً لتحقيق أهداف وغايات معروفة وانتهاءً بتحقيق الحلم الصهيوني التلمودي بإنشاء وطن قومي لليهود.

وبين يدينا الآن الدراسة التي قدمها الدكتور المحامي (أحمد عمران الزاوي) في مؤلفه القيم (كتاب مفتوح إلى المواطن العربي) تشريح تاريخ الصهيونية. والتي صدرت حديثاً عن دار المجد دمشق. وقدم لها العماد أول مصطفى طلاس والسيد محمد حسين فضل الله والدكتور معن صلاح الدين علي.

الكتاب متخصص بتاريخ الصهيونية قديماً وحديثاً وما تسعى إليه من تفكيك روابط العروبة والإسلام، وبناء دولتهم المزعومة من الفرات إلى النيل، أوضح المؤلف في مقدمته عدة نقاط لتوعية المواطن العربي فيما تخطط له

الصهيونية العالمية من مكائد ومؤامرات لتفتيت البنية التحتية للوطن العربي.

وفي قراءة جادة لما تضمنه الكتاب من فصول تطرق فيها الباحث إلى تاريخ الديانة اليهودية والصهيونية العنصرية وأساليبها في تشويه الحقائق التاريخية والتمويه على مجريات الواقع، نجد الباحث قد أوضح المسالك المتعرجة، وإقامتها لواجهات المسالك المتعرجة، وإقامتها لواجهات سياسية ودينية للوصول إلى الهدف الذي تقصده من تفتيت المجتمع العربي الإسلامي.

ويجد القارئ للكتاب شروحاً مسهبة قصد فيها الباحث عرض الحقيقة التي تسعى إليها الصهيونية.

تضمن الكتاب أحد عشر فصلاً مقسماً إلى أبحاث تبرز القاسم المشترك الذي يجمع سياسة اليهود وأوجه نشاطها في أي مجتمع تنطلق منه أو تعود إليه.

العنصرية:

الفصل الأول من الكتاب يبحث في العنصرية ودورها في بناء دولة إسرائيل والظروف السابقة واللاحقة لقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩) والذي دمغ الصهيونية بالعنصرية والتمييز العنصري. وكيف أن أنبياء اليهود يزرعون الروح العرقية والعنصرية في نفوس الأجيال المتتالية. بالإضافة إلى النصوص التي اعتمدتها إسرائيل في ممارسة العنصرية، وتعاملها مع التوراة وتقسيمها إلى بروتستانتية وكاثوليكية وسامرية معرفاً بتاريخ التدوين لهذه النصوص ومتسائلاً حول أسباب وضعها والمصادر الفكرية التي جمعت منها التوراة، مشيراً في نهاية الفصل إلى مبحث سماه: السيف والتوراة ابتدأه برد "جابوتنسكي" العنيف مخاطباً فيه رئيس الطلاب اليهود في فيينا.

وملخص رده "أنّ السيف الذي امتلكه أجدادنا قبل غيرهم من الشعوب أنزل إلينا من السماء مع التوراة، وبحده المرهف، صار وعد الله حقيقة جغرافية".

الأساليب الملتوية:

هذه الفكرة قائمة منذ ما يزيد على مئة وستين عاماً قبل نشر كتاب "مقاتل ونبي" لجوزيف شختمان الذي صدر عام ١٩٦١م وهنا يورد المؤلف رأيه "لقد ترسخت فكرة تلازم القوة والحقد مع قيام الدولة اليهودية قبل هرتزل بمئة عام. وبدا لأولئك الذين وضعوا الخطوط في مخطط "دولة إسرائيل" موضحاً دور الديبلوماسية الصهيونية التي تقفز قفزاً إلى غاياتها عن طريق استغلالها

الأحداث وتوجيهها بما يخدم مصالحها وأهدافها.

وقد أغنى الباحث هذا الفصل بأمثلة من نصوص التوراة والتلمود مقدماً بذلك دراسة مُعمّقة في التاريخ اليهودي وطرائق تزويره.

البروتوكولات:

الفصل الثاني تحدث فيه عن بروتوكولات حكماء صهيون معرفاً إياهم ومشيراً إلى مقرراتهم المعروفة التي نشرت إلى عدة لغات، وأن امرأة فرنسية كانت تعمل في إحدى المنظمات الصهيونية السرية في فرنسا اختلست بعض الوثائق وكشفت عن سرها لزعيم من زعماء اليهود في وكرمن أوكار الماسونية في فرنسا وأثار فضحها لسرية هذه الوثائق ضجة في الأوساط السياسية والاجتماعية.

بعد ذلك يقدم عرضاً وتحليلاً لبعض نصوص البروتوكولات الواردة في التوراة (العهد القديم) التي كتبها اليهود كتاريخ لبني إسرائيل بعد موسى بمئات السنين تحت اسم الأسفار.

التنظيمات الظلامية:

الفصل الثالث: الذي يتسم بالعرض المسهب حول منظمات الظلام والتعريف بها كالماسونية وشهود يهوه والروتاري والبابية والبهائية والقاديانية موضحاً أوجه نشاط كل منظمة وعقائدها المتسمة بالأفكار الهدامة للفكر الإنساني هادفة بذلك تحقيق غاياتها في تشويه الفكر وتوجيهه نحو الصهيونية العالمية.

الفصل الرابع: قدم فيه الباحث مقارنة بين منظمات الظلام وتشكيلاتها التي تلتقي بأهداف مشتركة واحدة (العالمية، نبذ الأديان، الالتقاء عند الصهيونية).

الفصل الخامس: يضم استعراضاً تاريخياً وفكرياً للمراحل التي تحولت خلالها الصهيونية من الحلم إلى الواقع موضحاً الدور المشبوه الذي قام مارتن لوثر به مبرزاً أهم تحدياته للكنيسة الكاثوليكية وإحداث فجوة في صفوف المسيحيين باسم (الإصلاح الديني) مستشهداً بأمثلة من التوراة والتلمود. مشيراً إلى دور الفكر الصهيوني الغربي في القرن التاسع عشر.

التصهين في أمريكا:

الفصل السادس: الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية يقدم فيه جولة

مختصرة حول الفكر الصهيوني وأثره على العالم الغربي وأسباب التلاقي بين الاستعمار الأوروبي وبين فكرة تأسيس دولة لليهود في فلسطين وبدعم وتأييد من الفعاليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أوروبا وأمريكا.

الفصل السابع: وضح فيه القواسم المشتركة بين البروتستانتية واليهودية وتوحد النظريتين في نظرية واحدة تقوم على أسس مشتركة وتدافع عن المتشددين (البروتستانت واليهود).

اتفاقيات متعارضة مع القانون الدولي

الفصل الثامن: الملاحظ في هذا الفصل التحليل الدقيق لبعض القرارات والمعاهدات والاتفاقيات التي اتخذت طابعاً دولياً في المنطقة العربية ابتداءً من "وعد بلفور" و"القرار ٢٤٢" و"اتفاقية سيناء" و"معاهدة داوود" و"اتفاقية السابع عشر من أيار" و"تاريخ اليهودية في لبنان والقدس والحكم الذاتي..." مشيراً إلى قضايا العرب المصيرية (فلسطين والجولان وجنوب لبنان) التي هي حديث الساعة في الأوساط العربية والعالمية والتي بدأت تنحو منحى خطيراً في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي لا يخدم سوى الأغراض الصهيونية العالمية، وهنا ترى الباحث يعقب تعقيباً يتسم بالرؤية السياسية الثاقبة معتمداً القوانين الدولية وتعارضها مع عقد اتفاقيات ومعاهدات كهذه.

الفصل التاسع: أوضح فيه نظام الدولة الإسرائيلية الذي يقوم على العنصرية كأساس في سياساتها التوسعية مقدماً استعراضاً سريعاً للعنصرية التي قام عليها الدستور والنظم القانونية في إسرائيل "كالقوانين الخاصة التي تطبق على العرب وقوانين ملكية الأراضي وقوانين الاستيطان والغائبين والدفاع والطوارئ..." شارحاً عنصرية هذه القوانين وتعسفها وأن النظم النازية والفاشية تجاهها تبدو نظماً ديمقراطية. مشيراً إلى أن السياسة التي تمارسها إسرائيل داخل فلسطين وخارجها، ما هي إلا تجسيد للنظريات العنصرية.

الفصل العاشر: تضمن تعريفاً بالأحزاب التي تقرر سياسة إسرائيل في الداخل والخارج وتأثيرها على صياغة القرار السياسي.

الفصل الحادي عشر والأخير:

تطرق الباحث فيه إلى عملية السلام تحت عناوين من مثل السلام الذي تقبله إسرائيل، لوحة عروض السلام الإسرائيلي، منصة الأمر الواقع، سلام إسرائيل لم تغيره متغيرات الدول، من أقوالهم تعرفونه، تعرض في كل هذه

الموضوعات إلى سياسة إسرائيل المتبعة وما تهدف إليه من أطماع توسعية في المنطقة.

مبدياً رأيه حول نداءات السلام وبأنها نداءات مضللة، تطلقها إسرائيل مثل البالونات الحرارية، لتجتذب وتمتص نقمة المجتمع الدولي.

فرانكلين وشيحا:

وختم الأستاذ الباحث الفصل بنبوءتين ونموذجين:

النبوءة الأولى: هي نبوءة الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين التي وردت ضمن تقرير له في سنة ١٧٨٩م عن الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

النبوءة الثانية: وردت في كتاب فلسطين الذي نشره مؤلفه المفكر ميشال شيحا في عام ١٩٤٧ حيث تنبأ بالأيام السوداء التي تنتظر هذا الشرق العربي من هذا الوافد الجديد.

وهنا يبدي المؤلف رأيه معلقاً بالقول: ص (٥٨٠ –٥٨١) تلكما النبوءتان تحققتا:

ففي الأولى: حفرت اليهودية أخدودها العميق في جسد المجتمع الأمريكي، فكان لها الوجود البارز في سياسته الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.

وفي الثانية: حيث احتلت مسألة اليهود واجهة المسائل العالمية وهي في انتفاخها وتمددها تنذر بالخطر العظيم على هذه المنطقة وعلى الإنسانية.

النموذجان:

النموذج الأول: الأفعى النحاسية التي هي رمز يهودي انطلق من أصله التوراتي الذي ورد في أحد الأسفار.

وحقيقتها وكما يقول المؤلف:

اقتبست التوراة قصة الحيات من التاريخ الكنعاني.

أما الرمز السياسي لشعار المحبة الملتفة على وحول العالم فقد تزيّد فيه اليهود فرمزوا إلى الرأس بالحكمة وإلى جسد الحية بالمرونة والقدرة على الالتفاف.

النموذج الثاني: الدولار ص (٥٨٦ –٥٨٧) قدم المؤلف قراءة للدولار وما يحتوي من رموز بدلالتها اليهودية حيث يذكر:

أ-في النظام العالمي الجديد الذي يسعى إليه اليهود، سوف يفرض السلام على العرب، من أرض الأهرام -مصر

ب-وسيكون بمقتضاه "لإسرائيل" أن تتحكم في المصير السياسي والاقتصادي لثلاثة عشر دولة عربية هي أرض كنعان، المؤلفة من "فلسطين" و"الأردن" و"لبنان" و"سورية" و"العراق" و"السعودية" و"اليمن الشمالي" و"اليمن الجنوبي" و"الكويت" و"عمان" و"قطر" و"البحرين" و"الإمارات العربية المتحدة".

جـ-الرقم ١٣ يرمز إلى الأسباط وأبيهم.

د-في العهود المسيحية الأولى حينما كانت اليهودية هي المدخل الديني إلى المسيحية، كان المسيح وتلامذته يشكلون الرقم ١٣.

هـ-أما رقم ٧٢ فهو يرمز إلى الآتي:

١-إن الذين صعدوا مع موسى وهارون من شيوخ اليهود /٧٢/.

٢-إن مجلس السنهدرين اليهودي يتألف من ٧٢.

٣-إن الذين وضعوا التوراة في عهد بطليموس بأمر ديمتريوس في إحدى الجزر المصرية بأوائل القرن الأول قبل الميلاد، كانوا ٧٢ وسميت توراتهم بـ "التوراة السبعينية".

بعد هذا العرض الموجز للكتاب بفصوله الأحد عشر يمكن القول:

"إن الكتاب يعتبر بمثابة طواف في أروقة ودهاليز ومكاتب الفكر الصهيوني الذي يتسم بالعنف كمبدأ وأساس لرسم سياساته التوسعية، وترجمتها إلى لغة إرهابية تتخذ شكل هيئات ومؤسسات عالمية محاربة لكل أنواع التيارات الفكرية والإنسانية والسياسية مستهدفة البشرية جمعاء والكتاب، بما تضمنه من بحوث تاريخية وسياسية تكشف الجوانب الخفية للحركة الصهيونية وأطماعها باتباعها أساليب المراوغة وخلق الأحداث لخدمة مصالحها أولاً وأخيراً، يقدم دراسة عرضت النشاط الصهيوني في العالم بموضوعية شاملة.

فالبحث يستحق كل الاحترام والتقدير لما قدمه من جهد ودقة علمية وأسلوب رصين في عرض الوقائع، على أن القارئ لا يغفل بعض الهنات الهينات والملاحظات التي لا يخلو منها مؤلَّف. فالكمال لله وحده.

■■■

إلى نخبة النخبة
الدكتور أحمد عمران الأكرم

قصيدة للشاعر: سلمان محمود

أخي يا فـارسَ القـانون مَرْحـى ... كرُمْـتَ مظلـةً والرجـعُ هاطـل
سَـبْرتَ كنـوزَ كنعـان وخوفـو ... ووثّقـت المقـولات الأوَائـل
وذُدْتَ عن الكتاب بصـدق قصـدٍ ... وأبرزت اللّقـى.. تُفنـي الـدلائل
فـلا يثنيـك سـقمٌ أو ظـروفٌ ... ولا تفنيـدُ مـن بـالأمر جاهـل
فغُزّ السـير.. فـي أقطـار فكـرٍ ... ولا تقنع بسـبق صـارَ حاصـل
فـنعم السـهمُ لا أفقـاً يلاقـي ... وفـوق الأفـق لا يثنيـه حائـل
أريجُ الفكر ملـكُ الـريح تُزجـي ... إلـى الأفـلاك تسـبيحَ الخمائـل
وشـحرورٌ تبـوّأ سـنديانا ... يطـلّ علـى المنـابر والمحافـل
يرى في الشـمس كرسـياً أنيقـاً ... به قد خُـصّ مـن بـين العنـادل

٢٥ /٨/ ٢٠٠١

■■■

الباحث أحمد عمران الزاوي..
وكشف الزيف بالإقناع

هاني الخير

الدكتور الباحث أحمد عمران الزاوي مفكر عربي مرموق صاحب أكثر من عشرة كتب جليلة الشأن وعظيمة الأهمية لا سيما في هذه المرحلة الاستثنائية الصعبة من تاريخنا العربي حيث اشتدت الأخطار وطبيعة التحديات التي تطل هنا وهناك...

بعض هذه المؤلفات القيمة يتصل بالفكر القومي الصحيح المتسربل بالإنسانية السمحاء والرحمانية المطلقة كما يتصل بعضها الآخر بالتراث العربي المضيء تراث الآباء والأجداد وكنوزهم الدفينة وبعضها يلقي الضياء على روعة الفكر العربي وكذلك في دفاعه الموضوعي عن الرموز العربية الشامخة عبر عصور التاريخ من خلال لغة حوارية هادئة ومناقشة حرة واعية مستفيضة تخاطب العقل والوجدان وأصحاب الضمائر الحرة الذين يتعطشون أبداً لمعرفة الحقائق الغائبة عن ساحة الوعي واللاشعور الجمعي.

عزلة سعيدة

ولم يغب عن ذهن هذا المفكر العربي الذي يحيا مع سبق الإصرار والتعمد في عزلة سعيدة في مدينة طرطوس بعيداً عن الصخب وعن الأضواء التي قد تبهر ثم يعقبها الظلام وعن فن العلاقات العامة السريعة وحالات المجاملة والثناء المجال والنفاق السلوكي ضمن أجواء وجدران مكتبته المنزلية العامرة

بجميع أجواء وجدران مكتبته المنزلية العامرة بجميع ألوان المعرفة الإنسانية وأمات كتب التراث التي تستهلك معظم ساعات يومه لم يغب ذهنه المبدع الدفاع عن العرب والعروبة وقيم الحق والخير والجمال والفضيلة وتاريخنا الغافي مؤقتاً على أمجاد عظيمة وإنجازات فكرية وعلمية مدهشة البحث الدؤوب الصادق في موضوع الصراع العربي –الإسرائيلي من خلال ثلاثة كتب هي:

–كتاب مفتوح للمواطن العربي.

–كلا لم يخرج العرب من التاريخ.

–كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء.

ويخرج الباحث أحمد عمران الزاوي بنتيجة تفاؤلية من خلال هذه الكتب المشار إليها تتلخص بأنه يرى أن المستقبل هو للأمة العربية المجيدة وأجيالها فهي أمة ماجدة تملك الحق الساطع والشعب الواسع وتتقدم سنة بعد سنة ولا بد من أن تملك القوة التي توفر لها النصر وتحرير الأرض.

لمحة عامة عن الباحث

ولد أحمد عمران الزاوي العام ١٩٣٠م في إحدى القرى التابعة لصافيتا من سورية. تلقى الأبجدية الأولى في القرية على يد شيخ كتاب حسب عادة أبناء عصره والتزم من والديه الفاضلين توجيهاً بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ونهج البلاغة وتراث آل البيت كما درس قواعد اللغة العربية والبيان والبديع والعروض على يد أحد شيوخ النحو والأدب الذي كان يعتمد على كتب اللغوي اللبناني الشهير رشيد الشرتوني وعلى كتاب (مجاني الأدب).

التحق بمدرسة (الجمعية الغراء) في دمشق العام ١٩٤٥م مع عدد من أترابه ثم درس على نفسه مناهج الإعدادية والثانوية فنال الأولى في العام ١٩٤٧م ونال الثانية في العام ١٩٥٠ ثم نال شهادة الحقوق في الجامعة السورية في صيف العام ١٩٥٤م وفي ١ /١/ ١٩٥٥ سجل محامياً في نقابة المحامين في اللاذقية وكان خلال السنوات السابقة ١٩٤٧ –١٩٥٤ يدرس مادة الأدب العربي في ثانويات الساحل السوري.

وفي شباط من العالم ١٩٦٨ انتخب أمين سر لنقابة المحامين في اللاذقية وحينما توحدت النقابات ونشأت الفروع في المحافظات انتخب نقيباً فرعياً لفرع النقابة في طرطوس كما انتخب في ذات الدورة عضواً في النقابة المركزية

بدمشق، وقد تجددت رئاسته للفرع ثلاث دورات كما تجدد انتخابه للنقابة المركزية لدورتين شغل عضوية المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب دورتين متتاليتين وحينما احتفل الاتحاد على مدرج جامعة دمشق بمرور خمسين سنة على قيامه كان من بين المكرمين وقد قدم إليه درع اتحاد المحامين العرب مع شهادة البراءة والتقدير.

وبسبب استغراقه التام في مهنة المحاماة اقتصر نشاطه الأدبي والفكري على المناسبات الدينية والاجتماعية والقومية والوطنية إلى أن اضطرته ظروفه الصحية الطارئة إلى التخفيف من نشاطه المهني والنقابي بعد أن أجرى ثلاث عمليات جراحية بالغة الصعوبة والتعقيد والعكوف على التأليف الذي وجد فيه حياة ثانية له وهذا ما يفسر لنا غزارة إنتاجه الفكري خلال مدة وجيزة.

بين المحاماة والتأليف:

يمكن القول وباطمئنان شديد أن مهنة الدكتور أحمد عمران الزاوي المحاماة التي ترتب عليه بصورة ملحة الدقة في التعبير والشمولية والوضوح في التصوير ليكون له بالغ التأثير في المستمعين على حد تعبير الأديب الكبير حامد حسن وقطع الطريق على معارضي فكره وأدلته الدامغة وحججه السليمة وقد ظهرت هذه الحالة بأوضح صورة في مؤلفاته مجتمعة وبصورة خاصة في هذه الكتب التي أغنت المكتبة العربية وهي:

-القراءة المعاصرة للقرآن الكريم "في الميزان".

-نضال المرأة في مواجهة التحدي.

-الحقيقة الصعبة في الميزان.

وتقدير البعض مؤلفاته منحه الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية درجة دكتوراه الإبداع في مناصرة العدالة بالإقناع.

مميزات مؤلفاته

تتميز مؤلفاته بجهد توثيقي وباستقراء شمولي لكل مراحل التطور التاريخي للمجتمعات البشرية وللأفكار المتداولة منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا وهذا ما يجعله مثار إعجاب وتقدير واهتمام لما يبذله من صبر ورويه وعمق في المقارنة والتحليل والتوثيق والاستنتاج وصولاً للحقيقة وما يطمح إليه من نشر معرفي ولعل كتابه النقدي الذي يحمل اسم: (بؤس الحقيقة في أدب

سلمان رشدي...) الذي يقع في ٤٩٦ صفحة من القطع الكبير هو الأنموذج الحقيقي لما أشرت إليه ففي هذا الكتاب الهام إدانة حقيقية لهلوسات وأكاذيب وزيف ما نسجته مخيلة الكاتب من افتراءات حاقدة ومغالطات بالجملة بحق التاريخ الإسلامي ورجاله العظماء بخاصة وأن روايته آيات شيطانية ليست برواية تاريخية ليقال أنها روت حوادث تاريخية حقيقية بل هي مجرد رواية مليئة بأكاذيب مخجلة لأن مؤلفها ينفث النار والدخان ضد الجميع، الجميع دون استثناء بهدف أن يجعل اسمه يتردد على كل لسان وبالفعل نجح في ذلك إلا أن اسمه اقترن بالازدراء والاحتقار على كل لسان..

لقد استطاع الدكتور أحمد عمران الزاوي أن يضع منهجاً للنقد الصارم على أسس عدة منها:

عمق الفكرة وموسوعية المعرفة.. الفهم الدقيق للكتاب المنتقد ومعرفة البعد الفكري لمؤلفه وإدراك تركيبته النفسية والذهنية ومراميه البعيدة.

تجنب التعصب الأعمى والاندفاع وراء الأهواء الشخصية وضرورة احترام الخصم وعدم الضرب تحت الحزام..

استعمال اللغة المشرقة واعتماد الإيجاز ودقة المعنى فلا ترداد كلمات.. ولا ترادف ألفاظ لتحبير الصفحات.

■■■

إلى العبقريةِ الفذّة
المخلصة الصادقة..

قصيدة الشاعر حسن كامل عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

في شخصِ فضيلةِ الدكتور أحمد عمران الزاوي، أيده الله أهدي هذه التحية العطرة شكراً وتقديراً لجهادهِ المقدسِ خدمةً للعلمِ والمجتمع الإنسانيّ.

أيها الكاتبُ الحصيفُ النبيلُ والحسامُ المهندُ المصقولُ

فارسُ الساحِ أنت في غمراتٍ ليس إلاّ الكماةُ فيها تصولُ

أنت كالطودِ، والذرى شامخاتٌ صعبةُ المرتقى، فكيف الوصولُ

والجبالُ الشماءُ أوتادُ هذي الأرض لولا الجبالُ كادتْ تميلُ

واصطفى اللهُ للجهادِ رجالاً وعنِ العهدِ كلُّهمْ مسؤولُ

حملوا الرايةَ العظيمةَ سَاروا حققوا النصرَ، هل هو المستحيلُ

يا سميَّ المختارِ أحمدَ منهُمْ أنت فاهنأْ بها ونِعَمَ الحمَولُ

آلُ عمرانَ مصطفون كرامٌ طابَ فرعٌ لهمْ وطابتْ أصولُ

يـــا لـــــهُ مِـــنْ مُجاهـــدٍ ومُجـــدٍّ بـــــاركَ اللهُ صُـــنعَهُ والرَّسُـــولُ

كُتبٌ صـــاغها مـــن الـــدرِّ عقـــلٌ راجـــحٌ نـــاجحٌ وفكـــرٌ نبيـــلُ

حِجَّـــةٌ تقنـــعُ الفقيـــهَ وبَحـــثٌ رائـــدٌ، ثـــمَّ منطـــقٌ معســـولُ

والمواضـــيعُ ذاتُ شـــأنٍ عظـــيمٍ تشغَلُ العـــالمين فَهْـــوَ الشُـــمولُ

فقهـــاءُ الإســـلام حيَّـــوا جهـــاداً صـــحَّ فيـــه المعقـــولُ والمنقـــولُ

ثُـــمَّ ربُّ الكنيســـةِ الحبـــرُ وافـــى زائـــرَ الرَّبـــعِ إذ عَـــراهُ الـــذهولُ

ولكـــلِّ الشـــعوبِ فيهـــا نصـــيبٌ والمـــرادُ الإنصـــافُ والتعليـــلُ

هكـــذا مطمـــحُ الرجـــالِ وهـــذا موقـــعٌ لـــمْ يَنلْـــهُ إلاّ الفحُـــولُ

إن بحثَ التناســـخ العـــذبَ حقـــاً أكَّـــدَ العـــدلَ، والشـــهودَ عُـــدولُ

والمـــوازينُ [٣] كُلُّهـــا راجحـــاتٌ وبهـــا القِســـطُ واضـــحٌ والـــدليلُ

والكتابُ الهُدى لـــهُ وهْـــوَ نـــورٌ تهتـــدي فيـــهِ لا تحـــيط العُقـــولُ

نَصُّه حجـــةٌ علـــى النـــاسِ طُـــرَّاً هكـــذا أكَّـــدَ العزيـــزُ الجليـــلُ

إن أســـتاذنا يســـيرُ وئيـــدَ الخَطْـــو وفـــي هَدْيـــهِ ونِعْـــمَ السَّـــبيلُ

قـــارِنوا بـــينَ كاتـــبٍ عَـــالَميٍّ يلفُـــتُ الانتبـــاهَ فيمـــا يقـــولُ

يَسلُكُ الدربَ يَرفعُ الشعبَ يُرْســـي أُسُسَ الحُبِّ فهْـــوَ فيـــهِ الجميـــلُ

والذي يَنشُـــدُ الخـــلافَ ويَرمـــي للخصـــوماتِ حيـــثُ راحَ يَجـــولُ

وانصفوهُمْ يا قومَنا ثُـــمَّ ســـيروا بهُدى الصَّالحينَ كَـــيْ لا تميلـــوا

---

[٣]-إشارة إلى كتب المؤلف المضاف إلى عناوينها عبارة (في الميزان).

حماة –التويم /آب –٢٠٠٣م

■■■

قصيدة شعرية..

هدية من شعور عابق بالإعجاب

إلى المحامي الدكتور والعلامة المبدع أحمد عمران

من نظم عفاف محمود الخليل

نافذة

في أحد الصباحات استيقظت...
فوجدتني بلا أنفاس..
بحثت عنها في كل مكان...
فوجدتها تقبع على كتبك.. في مكتبةِ والدي...
رمح الكلمة
صمت لذاكرة المكان..
وأحرفٌ قد تجوع..
لتصهل..
في احتضار وجودها..
فتشعل في دمي..
شعاع السؤال...
تلمُّ آخر الرّقصات..
من جدائلها البهية..

تمرّر خلف نحيبها..
ذاكرة المدائن..
للزمن المقدس....
واكتشاف الخصب..
في أقانيم الثرى..

***

فيك وجهٌ لحلمي..
وأنت تحرق قيد روحي..
وتوقظ بلسماً..
يغفو على سنين عمري الغاربات..
وأنت تهبط في مدخل الشرايين...
كشموسٍ دافئات..

***

وجه لأبي يغطيني..
بينما..
أشعر بالبرد...
يوقظني....
بينما مفرداتي..
تشعر بالنوم..
يهذبُ رعشات أحلامي..
ويغزل لي قمصانا..
من عريش... ونعناع..

***

سأتركك تسكنني كالفصول..
وأنا أجوع لربيع عمري..
فأراهُ يخرج.. من سطورك..

لينتمي إلى أطرافي المبللة..
بالغربة العارية..
والضياع..

***

خذني أرتحلْ...
عن وطأة المكان..
أعلق أحزاني...
على سياج حلمي المتعرج..
يغفو على صوتي...
رويداً.. رويداً..
وتشرق أنت..
مسارات من الفوضى والرحيل...
اتركني أتسللْ عبر خيوطك..
خيطاً خيطاً..
وأرتشف النشوة..
من شعاعٍ لخيالك الصاخب..
وهو يوقظ فيَّ..
خمرة الروح..
مسكونة بالدهشة والفوضى..
تعمّرني أنت..
تتفيأُ في داخلي كلماتك..
وأتفيأ فيها..
تتفجر نهراً.. يسكنني..
يحييني.. يصعقني..
وأبصر بعقلي..
فأسير ما بين الموت..

ونسغ الحياة..
اتركني..
تقتلني خيوطك..
اتركني..
تحيني الكلمات..

***

يحرقني صوتك..
وهو يخرج من ذاكرة..
مشتولة بالقمح الغزير..
والصبح..
يبدأ من أول التكوين..
مروراً بظلال الروح..
حتى.. آخر الحضارات..

***

قل لي..
كيف تمسك البحر..
وتهديه لفقراء مثلنا..
يعلقون قنديل زيت..
ويتدفؤون على..
أحلامهم الرطبة..
من الشتاء..
والممطرة من العتمة..

***

قل لي..
كيف تلتقط المساء..؟
كيف ترتب النجوم..

وتسحر الهامات..
لتشعَّ بأضوائك..

***

قل لي..
كيف تغزل الكلمات...
وتنشرها عبيراً..
فتسقط على روحي...
مفاتيحاً لضفاف عمري..
المتروك كشاهدة قبر..
عتيقة..
وكيف يوقظ عبورك المؤجل فيّ..
أنفاس النهار..
ويستقر على شرفات شعري..

***

قل لي..
أين سأسند رأسي..؟
وهو مملوء بك..
بروحك..
بلهاث نشوتك المعلقة..
كبنفسجة..
على شطآن بحرك المعطاء..
قل لي..
أين سأنفض..
نشوة انعكاس عصافيرك..
وهي تغفو...
على جدار روحي..

عفاف محمود الخليل

■■■

مهداة إلى الباحث العربي الكبير
الدكتور أحمد عمران (الزاوي)

قصيدة الشاعر محمود الخليل

يا من يُحلّق

إني عشقتك عن بعد وعن كثب ... يا مَنْ خلقت جمال الفكر والأدب

يا أنت أحمدُ يا شمس الثَّقافة قدْ ... أحْيتْ نفوساً بأكفانٍ من الرِّيب

من آل عمران أعطى العطر نكهتهُ ... والحلمُ صار على مرمى من الأرب

لله درُّك كم حلَّقت في دُررٍ ... فوق الصُّروح وكنت البرد للَّهب

لم تخشَ صوتاً يلومُ النسرَّ مرتِفعاً ... واللهُ يحفظُ من يصبو من الوصب

يصبو ليهزم ليلاً كاد يتلِفُنا ... نورٌ مدادُك والأقلامُ من شُهب

يا مَنْ يحلِّقُ للجوزاءِ طائُره ... مجداً خصيباً يفيض الماء للسُّحب

أزكو لأنطق اسماً ثائراً أبداً ... أبقيهِ فوق شغاف القلب والهدب

أنت الضَّمير لأحرار صفوا شمماً ... أو ضوء بدر أتى سيلاً على التُّرب

تروي عِطاشاً أقضَّ الوجدُ مضجعهم ... رغم الصَّلابة في الأصفاد والحجب

طرطوس بيتك لكن أنــت منطلــق في كلِّ جوٍّ شكا من حرقة العطــب

***

يا بلسم الفكر.. يا عمراً مشى خببــاً من بين ركب أتى يحبو على الركّب
يا أحمدُ.. الصَّبرُ لا يجدي بواقعنــا مع من أتوا بسلاح الرَّدْحِ في الخطب
عضَّــوا أنامــل دكتــورٍ يعــالجهم حتى يظلُّوا بما أدمى مــن الجــرب
يبغون دنيا بها الأمــوال تــرفعهم إذ تاجروا بلطيف الــدِّين والكتــب
لا يعرفون سوى ســجعاً لفاتحــة من أين يصعد فكرٌ قُدَّ من خشــب؟
هل تنقذ النَّاس أنســابٌ ومسِــبْحةٌ لا تعرفُ الله لولا المال.. واعجبــي
جاء العوام بنيــران علــى حطــب من التَّخلّف في جيش، أتى، لجــب
من ثمَّ جاء شيوخ النَّقد دون هدى صبّوا زيوتاً على النّيران في الحطب
والبنكنوت غــدت حكمــاً لطالبهــا فيها نفرّق بين الصِّــدق والكــذب

***

يا نسرَ أحمدَ حلِّق لا تملُّ .. غــداً يأتي صباحٌ بــلا ســحر ولا نشــب
إني رأيتُ على متن الضِّــياء أتــى مثل الشّهاب ــ عقابٌ في السَّخاء نبــي
لا يبقى هكذا شعبٌ والبــدورُ بــه أمثالُ أحمدَ، في بيت مــن القصــب
حبي إليك.. وقُبلاتي علــى شــفة كالجزع تُسقِطُ دون الهزِّ بالرّطــب
لا تــرنُ يومــاً لأقــلام مناهِضــةٍ لا يرفُضُ الشَّمس إلا غافِلٌ وغبــي

■■■

المحتوى

كلمة عريف الحفل.....٨
الأستاذ يوسف معلا.....٨
قراءة في كتاب مفتوح إلى المواطن العربي
كلمة : السيد العماد أول مصطفى طلاس ١٠
كلمة فرع اتحاد الكتاب العرب بطرطوس
غسان كامل ونوس ١٤
من العدل تكريم صفوة الأمة
أحمد حاج فتوح ١٧
قراءة في ((كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء))
بقلم: الأديب يوسف مصطفى ١٩
قراءة في كتاب (نضال المرأة في مواجهة التحدي)
لينا حمدان ٢٦
قراءة في كتاب (كلام لم يخرج العرب من التاريخ)
د.محمد حاج صالح..... ٣٧
من وحي كتاب (بؤس الحقيقة) في أدب سلمان رشدي وصادق العظم
يحيى خضور ٤٦
الميزان (شهادة)
مالك صقور ٥٩
شهادة
الأديب ميشال واكيم ٦٤
الكلمة التي ارتجلها المحتفى به الدكتور المحامي أحمد عمران الزاوي ..٦٧
منارة الفكر
يوسف معلا ٧٠
تكريم نجم

الدكتور أمين أبوعبيد ٧٢
تشريح تاريخ الصهيونية رسالة مفتوحة إلى العرب والعالم أيضاً
الدكتور معن صلاح الدين علي ٧٦
((كلام لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخروا منه))
بقلم الأديب: يوسف مصطفى ٨٢
حضورنا التاريخي تؤكده هويتنا الذاتية..
حوار رغداء ماريديني ٨٧
أحمد عمران الزاوي مكرماً في ثقافي طرطوس
علي نفنوف ٩٢
كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدماء جديد أحمد عمران الزاوي
جريدة تشرين ٩٥
مع كتاب: نضال المرأة في مواجهة التحدي
بقلم نجوى أحمد حسن ٩٧
كتاب "نضال المرأة في مواجهة التحدي"
عرض: علي نفنوف..... ١٠١
كتاب نضال المرأة في مواجهة التحدي
عرض مرشد ملوك ١٠٤
إلى الباحث العربي الكبير العلامة الدكتور أحمد عمران (الزاوي)
قصيدة للشاعر: أزدشير يونس الخليل ١١٠
إفصاح
الدكتور مصطفى الرافعي..... ١١٢
قراءة في كتاب مفتوح إلى المواطن العربي
العلامة محمد حسين فضل الله ١١٩
آراء ودراسات : قراءة في كتاب "كتاب مفتوح إلى المواطن العربي"..
تشريح تاريخ الصهيونية
عرض بتول الطريمي ١٢٣
إلى نخبة النخبة الدكتور أحمد عمران الأكرم
قصيدة للشاعر: سلمان محمود ١٢٩
الباحث أحمد عمران الزاوي.. وكشف الزيف بالإقناع
هاني الخير..... ١٣١
إلى العبقريةِ الفذّة المخلصة الصادقة..

قصيدة الشاعر حسن كامل عيسى ١٣٥
قصيدة شعرية.. هدية من شعور عابق بالإعجاب
من نظم عفاف محمود الخليل ١٣٨
مهداة إلى الباحث العربي الكبير الدكتور أحمد عمران (الزاوي)
قصيدة الشاعر محمود الخليل ١٤٤
المحتوى ١٤٧

■■■